الملحق الثقافي

ملحق أسبوعي يصدر كل ثلاثاء عن جريدة الثورة - العدد 1093 2022/4/26

ملف العدد

فاتح المدرس في مئوية ولادته

أول الكلام

التاريخ منقوصاً ..

▪ ديب علي حسن

يروى أن أحداً ما، أضاع مفتاحه.. وسط ظلمة حالكة لكنه توجه إلى مكان آخر وبدأ يبحث عنه تحت الضوء..شاركه عابر سبيل البحث وبعد جهد سأله: متأكد أنك أضعته هنا ؟.

رد الرجل قائلاً : أضعته هناك بالمكان المظلم لكن هنا يوجد ضوء أستطيع أن أبحث عنه ..

ما جرى في الحكاية السابقة مع أنه قد لا يكون حقيقة ينسحب على الكثير من القضايا الحياتية والاجتماعية والفكرية والتاريخية ..

اليوم، تمر ذكرى الإبادات التي ارتكبها العثمانيون بحق الأرمن تعقد الندوات وتنشر الدراسات، وهذا يجب أن يستمر ويتم على أوسع نطاق محلي وعربي وعالمي.

ولكن لابد إضافة إلى ذلك أنه يجب الإشارة إلى أن مجازر العثمانيين كانت قد بدأت منذ عام ١٥١٦م أي منذ غزوهم للوطن العربي ...على التاريخ والمؤرخين والدارسين ألا يغفلوا عن ذكر المجازر التي ارتكبها العثمانيون في حلب وما سمي بعد: تل الجماجم وغيرها مئات المجازر...

كيف ننسى ما فعلوه بآثار دمشق فمكان ما يسمى التكية السليمانية كان قصر عربي تم هدمه وأخذ حجارته لتبنى التكية ..

هل نذكر بجرائم الإبادات الثقافية والفكرية واللغوية ومحاولات التتريك؟.

هل نذكر بمجازره في جبال الساحل السوري بكل أطيافه ولا سيما في بيت ياشوط؟.

في كتابه رحلة إلى جبال الساحل السوري يتحدث الرحالة الفرنسي ليون كاهون عام ١٨٧٨ عما فعل العثمانيون هناك ويصف شنائع الموت المهول...

التاريخ الجديد يعنى بالبحث في كل زاوية وركن وكل حكاية.. لن نسامح أربعة قرون من الجرائم يضاف إليها الآن الكثير الكثير..

ما تعرض له الأرمن ذاقه العرب في كل أنحاء الوطن العربي ولقرون..

البحث يجب أن يستمر ويوثق كل فعل إجرامي..

الإبادات الجماعية التي ارتكبها العثمانيون ومازالوا لم تقف عند إثنية أو معتقد ما بل طالت بتوحش كل شيء ..تاريخنا منقوص يجب أن نعمل دائماً على سد الثغرات وتقديم الوثائق والأدلة وأن نضيء على ما ليس مضاء عليه وهذه مسؤولية لا أحد خارج حدودها...

المثقفون والدور

هل تغيرت الصورة ؟

على موائد الأدب

خيار واحتمالات

رئيس التحرير
أحمد حمادة

مدير التحرير
معد عيسى

إشراف
ديب علي حسن

الإخـــراج
هدى نصر شمالي

توجه جميع الرسائل
باسم هيئة التحرير
دمشـــق ص.ب ٢٤٤٨
هاتف ٢١٩٣٢٢٢

معرض

فني جماعي في مدينة شهبا

نحو ٧٥ لوحة ومنحوتة بتقانات لونية وبأساليب متعددة ضمها المعرض الفني الذي افتتح في مدينة شهبا بمشاركة ٢٥ فناناً ويستمر لمدة شهر.

وتناولت أعمال المعرض الذي أقامه تجمع شهبا التشكيلي ضمن صالة أوسكار موضوعات تتعلق بالبيئة المحلية والطبيعة والطبيعة الصامتة والوجوه الإنسانية والتجريد.

ويأتي المعرض كباكورة لنشاطات تجمع شهبا التشكيلي وفقا لمديره الفنان حميد نوفل والذي يعكس برأيه حالة فنية جمالية حوارها اللون والتشكيل والتكوين المعبر عن الأحاسيس والمشاعر والذوق الراقي على صورة مشروع ثقافي يضاف إلى أمثاله الموجودة في منطقة شهبا.

ومن المشاركين أشار الفنان عماد النداف إلى أنه حاول من خلال لوحة «معزوفة من أجل الطبيعة» إبراز تأثير الموسيقا على الطبيعة والإنسان منوهاً بأهمية المعرض الذي يجسد روح التعاون بالعمل لإنجاحه.

وذكر الفنان إياد أبو زيدان أنه شارك بلوحتين بالألوان الزيتية والأكريليك مع تكنيك خاص بإحداهما باستخدام السكين بالرسم بدلاً من الريشة وإظهار الجمال البصري بلغة العيون بين الفرح والمأساة.

الفنانة هدى عبيد قدمت أربع لوحات بالزيتي أغلبها لحالات المرأة بالفرح والحزن وقدمت الشابة رهف طارق زين الدين لوحات لوجوه إنسانية واقعية باستخدام الفحم والألوان الخشبية حاولت من خلالها التعبير عما يجول في مكنوناتها الداخلية.

ومن زوار المعرض الفنان التشكيلي جمال العباس الذي وصفه بالخطوة المهمة لتوسيع دائرة التذوق الفني والجمالي والحضاري وإظهار دور الفن التشكيلي الريادي من خلال ما تضمنه من أعمال تراوحت بين المباشرة والإيماءة والتعبيرية مع وجود أعمال إبداعية حقيقية ومدهشة وأخرى امتلك أصحابها قدرة النقل عن أعمال أخرى.

يذكر أن تجمع شهبا التشكيلي تأسس مؤخراً ويضم حالياً ٢٥ فناناً ويهدف إلى تعزيز حالة الفن التشكيلي وإبرازه عبر معارض وأنشطة متعددة.

كتاب العدد
حسب الترتيب الهجائي

ثائر زين الدين
دلال ابراهيم
سلام الفاضل
شهناز فاكوش
غسان كامل ونوس
ليندا ابراهيم
منير خلف
مها محمد
نبيل نوفل

دراسات

الجولان في كتاب

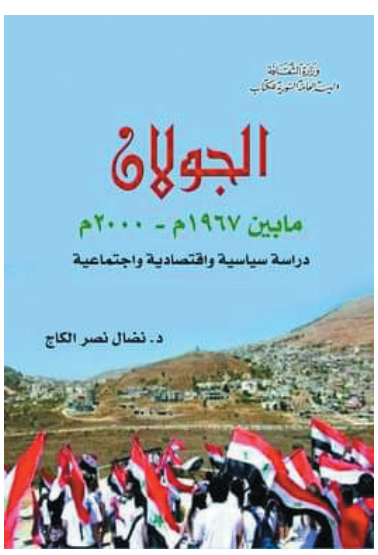

سيبقى الجولان عربياً سورياً، ولن يكون غير ذلك أبداً، آلاف الكتب والدراسات صدرت عنه وسوف يصدر الكثير عن الهيئة العامة السورية للكتاب صدر حديثاً وضمن سلسلة «الكتاب الإلكتروني» كتاب (الجولان ما بين ١٩٦٧- ٢٠٠٠م دراسة سياسية واقتصادية واجتماعية)، تأليف: د.نضال نصر الكاج.

تتناول هذه الدراسة قضية الجولان العربي السوري المحتل، منذ احتلال الكيان الصهيوني له عام ١٩٦٧ وحتى عام ٢٠٠٠، وما رافق الاحتلال من انعكاسات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية متعلقة بسكان الجولان من جهة، وبالوضع السياسي والعسكري من جهة أخرى، ولا سيما ما تعلق بالدور المركزي الذي تمثله سورية سواء في الحرب أم في السلام، وتمسّكها بمبدأ الأرض مقابل السلام.

كتاب (الجولان ما بين ١٩٦٧- ٢٠٠٠م دراسة سياسية واقتصادية واجتماعية)، تأليف: د. نضال نصر الكاج، صادر حديثاً عن الهيئة العامة السورية للكتاب ٢٠٢٢.

لقراءة الكتاب كاملاً يمكنكم الدخول إلى موقع الهيئة العامة السورية للكتاب/ الكتاب الإلكتروني عبر الرابط التالي:

http://syrbook.gov.sy/archives/4570

شاعر اللون.. محطات في حياة فاتح المدرس

لايمكن لمقال أن يوجز حياة فاتح المدرس حتى بخطوط عريضة وسريعة، ولكن لابد من فعل ذلك، ومن خلال ما كتبه المبدعون والنقاد والمعاصرون الذين عايشوا المبدع فاتح المدرس، وقد استطاع الأستاذ إبراهيم العلوي، من معهد العالم العربي في باريس أن ينسج خيوط ذلك ليصل إلى مقاربات موجزة لحياة الراحل فاتح المدرس، يقول «إبراهيم العلوي»: مسؤول عن الفن المعاصر في معهد العالم العربي في باريس:

فاتح المدرس».. اسم معروف في أوساط الفن التشكيلي السوري وهو رائد من رواده حيث ترك بصمة واضحة في تاريخ اللوحة الفنية السورية وساهم مع عدد من زملائه الفنانين الذين تخصصوا في دراسة الفنون في الخارج على تشكيل قاعدة أكاديمية متينة للفن التشكيلي السوري عموماً والحلبي على وجه الخصوص، وإضافة إلى الفن فقد كان المرحوم شاعراً وقاصاً له نتاجات أدبية متنوعة، فمن «فاتح المدرس»؟

حول التجربة الفنية الطويلة والغنية للفنان الراحل «فاتح المدرس» يتحدث الفنان التشكيلي والباحث الأستاذ «طاهر البني» لموقع eAleppo: بالقول: «لقد قدم الأستاذ «إبراهيم العلوي»× معرض الفنان «فاتح المدرس» الذي أقيم في معهد العالم العربي في باريس في العام ١٩٩٥ بالقول: إنّ «فاتح المدرس» ينتج أعمالاً فنية تتميز بالذاتية والتفرد وتستمد قيمها التمثيلية أساساً من كثافة التعبير، ونحن حين نتفحص نتاجه الإبداعي منذ ذلك الوقت حتى اليوم نلاحظ أنّه لا يكف عن مساءلة أعماق الروح والأساطير المهوّمة داخلها، وعلى الرغم من كون لوحاته مشحونة بتوتر داخلي كبير فإنها غالباً ما تأخذ شكل أيقونات دنيوية تتراوح فيها علاقات الألوان والأشكال بين التنائي تارة والذوبان في خلفية تكويناته تارة أخرى، إنّه نتاج وجودي وتعبيري يوظف مادية معجونة اللون ويقين الخط وقلة الألوان في تأكيد حريته المطلقة في الرسم كما يشاء/، من هنا تكتسب الكتابة عن «فاتح المدرس» أهمية خاصة بوصفها الوسيلة التي تكشف لنا عالم هذا الفنان، وللحديث عن «فاتح المدرس» علينا العودة إلى الجذر الذي نما فيه وإلى الظروف البيئية والتاريخية التي شكلت وعيه وساهمت في بنيته الشعورية وذاكرته الإبداعية التي كان لها الحضور الطاغي في إنتاجه الفني».

بدايةً يقول «المدرس» عن نفسه /أنا رسام عربي سوري أرفض الأخذ بالمفاهيم المستوردة المسبقة الصنع وأنا شاهد على جمال الأرض والإنسان وشاهد على الأحزان في عصرنا/، وقال عنه الكاتب «بول شاؤول» راثياً إياه: / لقد خسرنا رسام الشعراء وشاعر الرسامين/، أما الشاعر السوري «أدونيس» فقد قال /لوحة «المدرس» تتمسرح وتمتلئ بالإيقاع الشامل/

وحول طفولته التي كانت المفتاح لإبداعاته لاحقاً يقول «البني»: «لقد عاش «فاتح» طفولة شقية ومحرومة متنقلاً مع أمه في القرى الشمالية عند أخواله بعد أن سلبه أعمامه حقه في الميراث الكبير بعد أن قتلوا والده خشية انتقال الميراث إلى أخواله وقد تركت تلك الفترة من حياته أثرها الواضح في وجدانه وسلوكه الاجتماعي وإنتاجه الفني والأدبي، وكأي طفل من أبناء الفلاحين أخذت مظاهر الحياة الريفية تدور من حوله وباتت الطبيعة تشكل المعالم الأولى لوعيه وتنساب في ذاكرته الفتية.

وفي الثامنة من عمره غادر «فاتح» حياة الريف وانتقل إلى

«حلب» ليقيم عند أعمامه بحي «الفرافرة» الذي كان يضم مجموعة من العائلات الارستقراطية ولكنه كان يفضّل الإقامة مع أمه في أحد بيوت «باب النصر» بالقرب من «جامع الزكي» وهناك دخل الابتدائية، واجتاز «فاتح الابتدائية» وتابع دراسته في مدرسة «التجهيز الأولى» /»ثانوية المأمون»/، وفي مطلع الأربعينيات غادر إلى لبنان ليتابع دراسته في الكلية الأميركية في «عالية» ثم عاد إلى «حلب» ليعمل مدرساً للغة الانكليزية والتربية الفنية في ثانويات «حلب» حيث التقى مع زملائه الفنانين الذين كانوا يشكلون الطليعة الفنية في مدينة «حلب» من أمثال: «غالب سالم»- «وهبي الحريري»- «إسماعيل حسني»- «فتحي محمد»- «الفريد بخاش» وغيرهم، وفي العام ١٩٥٤ وضع مؤلفاً من ثلاثة أجزاء عرض فيه تاريخ الفنون الجميلة وفي العام ١٩٥٦ جاء قرار إيفاده للدراسة الأكاديمية في روما».

وحول مراحل تطور إنتاجه الفني خلال مسيرته الإبداعية الطويلة يتحدث «البني» بالقول: «في المراحل الأولى التي سبقت سفره إلى روما كان يرسم بوحي أساتذته الذين درّسوه الفنون في «حلب» فكان يرسم الطبيعة والأحياء القديمة والصور الشخصية ببعض الالتزام الموضوعي للشكل المرئي والمنظور بعين مجردة بيد أن هذه الموضوعات أخذت تكتسب صبغة متحررة من خلال اللمسات الجريئة والكثافة اللونية إثر عودته من بيروت كما أخذت الأشكال الواقعية ترتدي ملامح رمزية وأجواء سريالية تجلت واضحة في لوحته /»كفرجنة»/، ولكن الانقلاب الجذري الذي ظهر في إنتاج «المدرس» جاء بعد عودته من دراسته في روما حيث حمل معه ملامح الصورة التعبيرية الجديدة التي راجت في الغرب في منتصف القرن العشرين وهي صورة تتأرجح بين التجريد والتشخيص مستفيدة من الطاقة التعبيرية لمادة اللون من خلال المؤثرات المختلفة التي تقترب من طبيعة المواد والأشكال التي تأثرت بفعل عوامل كيميائية وفيزيائية.

وكان مدير دار الكتب الوطنية بحلب الأستاذ محمد خالد النائف -تحدث عن حياة المدرس قائلاً:

ولم يقتصر «المدرس» في تأثره على هذا الاتجاه أو ذاك بل رنا ببصره إلى المنحوتات والرسوم التي كشفت عنها التنقيبات الأثرية في الرض السورية وبلاد الرافدين، فأفاد من الحس الغرافيكي المخزون فيها كما أفاد من الأشكال البدائية في الريف السوري بما في ذلك من تضاريس الأرض وألوانها وأشكال البشر وأزياء الفلاحين».

وحول أهم الجوائز التي نالها «المدرس» خلال مسيرته الإبداعية التي امتدت لأكثر من نصف قرن يقول «البني»: «نال «المدرس» العديد من الجوائز المحلية والعربية والدولية وأهمها: الجائزة الأولى في المعرض السنوي الذي أقيم في المتحف الوطني بدمشق في العام ١٩٥٢ وجائزة استحقاق من المعرض الدولي في جامعة ليكلاند -فلوريدا سنة ١٩٥٢ والجائزة الأولى من أكاديمية الفنون الجميلة في روما سنة ١٩٦٠ وجائز شرف من بينالي سان باولو سنة ١٩٦٣ وجائزة الدولة للفنون الجميلة سنة ١٩٦٨ وجائزة الشراع الذهبي في المعرض الخامس للفنانين العرب في الكويت سنة ١٩٧٧ وغيرها».

وعن شخصية «فاتح المدرس» تحدث أيضاً لنا الأستاذ «محمد خالد النائف» مدير دار الكتب الوطنية: «ولد الفنان والشاعر «فاتح المدرس» في «حلب» في العام ١٩٢٢ وتوفي في مدينة «دمشق» في العام ١٩٩٩، وفي فترة نهاية الثلاثينيات من القرن الماضي تتلمذ على يد الفنان «وهبي الحريري» ثم عمل مدرساً لمادة الفنون في «حلب» في الأربعينيات وشارك في المعارض الأولى التي نظمتها وزارة المعارف السورية منذ بداية الخمسينيات، وفي العام ١٩٥٧ سافر إلى إيطاليا للدراسة حيث تخرج في أكاديمية الفنون الجميلة في روما بعد ثلاث سنوات وخلال وجوده للدراسة في إيطاليا تعرّف على الكثير من الفنانين والمفكرين والمثقفين الأوروبيين الذين تحاور معهم بعمق، وبعدها درّس في أكاديمية الفنون الجميلة في باريس ونال الدكتوراه في العام ١٩٧٢».

وحول الجانب الأدبي في شخصية «المدرس» يقول مدير دار الكتب الوطنية: «لقد كان «المدرس» متنوع الإبداع وكثير العطاء فقد كان قاصاً وشاعراً ورساماً ومفكراً وموسيقياً ناضل خلال حياته ضد الظلم والاضطهاد ودافع عن قيم الخير والحق والجمال بكل ما أبدع، لقد كان «المدرس» عضواً في جمعية القصة والرواية في اتحاد الكتاب العرب، وفي العام ١٩٦٢ أصدر ديوان شعر باللغتين العربية والفرنسية بالاشتراك مع «شريف خزندار» وفي العام ١٩٨١ صدرت له مجموعة قصصية بعنوان /عود النعنع/، ومن مؤلفاته الأخرى: /تاريخ الفنون في اليمن/ قبل الميلاد- دراسة، /دراسات في النقد الفني المعاصر/- دراسة ١٩٥٤، ديوان شعر بعنوان /الزمن الشيء/ بالاشتراك مع الأستاذ «حسين راجي» ١٩٨٥».

يُذكر أنّ الفنان السوري العالمي «فاتح المدرس» كان عضواً في المجلس الأعلى للفنون بدمشق ونقيب الفنون الجميلة في سورية لأكثر من عشر سنوات وأستاذ الدراسات العليا في كلية الفنون الجميلة بجامعة دمشق وعضو مؤسس لاتحاد الفنانين التشكيليين العرب، ويُذكر أيضاً أنّ السينما السورية أخرجت ثلاث قصص في ثلاثية له بعنوان /العار/ سنة ١٩٧٣ كما كُتب عنه مجموعة من الكتب والمقالات في مختلف الصحف السورية والعربية، وأخيراً توفي الفنان «فاتح المدرس» في ٢٨ حزيران من العام ١٩٩٩ في مدينة «دمشق».

المدرّس.. نقل الفن السوري إلى العالمية

سلام الفاضل

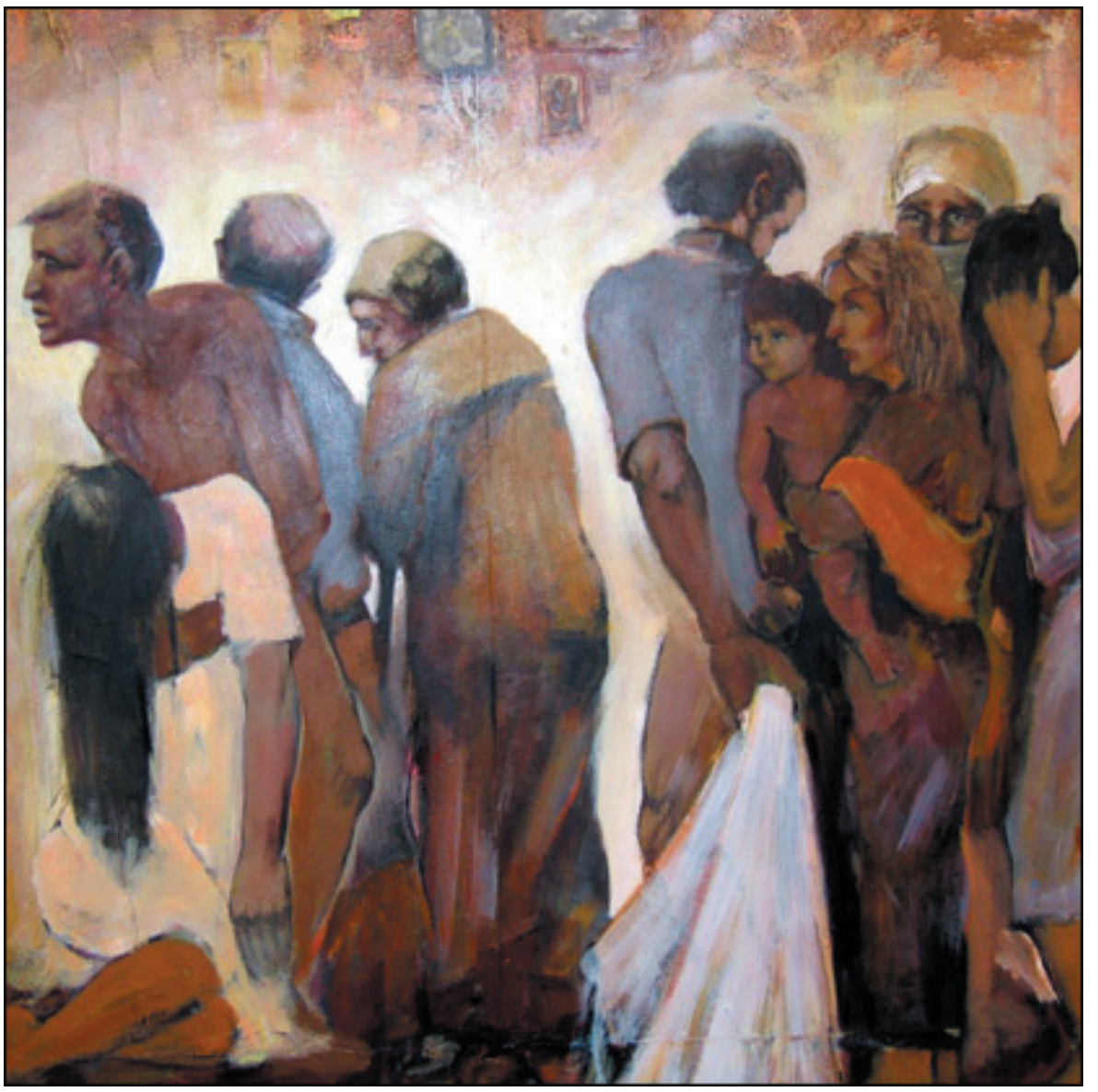

من لم يعرف فاتح المدّرس، ولو بالقراءة والمتابعة، فإنه لم يعرف الإنسان الحقيقي في جوهره السامي والمتسامي، فهو الذي فتح باباً للقصّ والشعر، وهو الذي فتح الفضاءات الكبرى والعالمية للوحة التشكيلية السورية، فوضع المعايير والتقنيات والقياسات والألوان النابعة من الأرض السورية، وضعها في قلب المشهد التشكيلي العالمي، ويظن كثيرون من أن أهميته تنبع من هذا الجانب، وهذا صحيح، لكنه في الحقيقة تصدّر المشهد بصدقه وانتمائه إلى فكره وكل ما في أرضه.

ولد فاتح المدرّس في مدينة حلب عام ١٩٢٢، وتوفي فيها عام ١٩٩٩، وتصادف في هذه الآونة الذكرى المئوية الأولى لولادته، ونظراً للدور الكبير والبارز الذي لعبه فاتح مدرّس في المحترف التشكيلي السوري، وتصدّره المشهد الثقافي السوري في فنون إبداعية عدة، كان لزاماً الاحتفاء بذكرى مئوية ولادته الأولى، لأنها تشي بولادة مبدع متميز، خلّف إرثاً فنياً سارت على نهجه أجيال من الفنانين، وستظل، كما أنها تؤكد ألمعية اسم هذا الفنان الذي حرص على نحته في جبهة الحياة بحروف من ألق. وللحديث أكثر عن فاتح مدرّس فناناً تشكيلياً وضع الفن السوري على قائمة العالمية تحرّينا رأي عدد من النقّاد والفنانين التشكيليين الذين أبحروا في حديثهم عنه فناناً، وأستاذاً، ومثقفاً ذا بصمة خاصة.

سعد القاسم: الفن التشكيلي تراث الوطن

تناول بداية الفنان والناقد التشكيلي الأستاذ سعد القاسم محطات من حياة فاتح المدرّس، عارضاً بعض الشخصيات التي قابلها، والبلدان التي قصدها، بغية إقامة المعارض، أو الدراسة، إذ أوضح: «أن فاتح مدرّس شارك في عام ١٩٥٢ في معرضين، أحدهما في الولايات المتحدة الأميركية، والثاني في السويد. ليسافر بعد ذلك بعامين إلى إيطاليا حيث درس مدة ست سنوات في أكاديمية الفنون الجميلة في روما، وتعرّف خلال هذه الفترة على (جان بول سارتر) الذي قام بترجمة بعض من أشعاره، واقتناء عدد من لوحاته، لينتقل في عام ١٩٦٩ للدراسة في أكاديمية الفنون الجميلة في باريس، ويقيم لاحقاً كثيراً من المعارض في أوروبا - وألمانيا خاصة - وكان يقول حينها إنه ذهب إلى أوروبا بعقل مشبع بالصور».

ورأى القاسم أن جواب المعلم فاتح مدرّس في لقاء أجراه معه في مجلة (التشكيلي السوري) مطلع الشهر الرابع عام ١٩٩٤، هو أفضل تلخيص لمفهوم وضعه اللوحة السورية على قائمة العالمية، إذ قال فاتح حينها: «إني من المؤمنين بأن الفن الجميل - الفن التشكيلي هو من تراث الوطن، ومن شجيراته النادرة، ويحمل خصوصية التراب والإنسان في هذا الوطن. ومن هذا المنطلق الإنساني الجمالي ترى أن هنالك في العالم فناً وطنياً عالمياً لدى كثير من الشعوب الجادة في بناء الحضارة، هذا كان هدفي وأنا أعمل، إن كان في أوروبا، أو هنا في الشرق العربي.. أنا أمين لجماليات وطني، وعندما عرضت في نيسان الماضي في واشنطن رأيت في عيون الزوار أنهم ينظرون بدهشة إلى أعمال جاءت من الشرق البعيد من سورية تتحدث بلغة لا يفهمونها إلا بحسرة وصمت من خسر روحه.. الحياة في خضم العالم الأميركي فقدت روحها.. نعم نحن شعوب نامية لكننا نمتطي خيول الإلهام، هذا الإلهام ليس تماماً من السماء، بل سماء أخرى هي قبة الروح الإنسانية، فيها تطير رؤى الرحمة التي افتقدتها أميركا الشمالية...». أما الفنان التشكيلي عصام درويش الذي كان أحد طلاب فاتح مدرّس في كلية الفنون الجميلة فقد تحدث بداية عن فاتح أستاذاً حرص على ألا يعلّم طلابه كيفية الرسم، بل كيفية الرؤية، وكان هذا - برأيه - أفضل ما قدمه لهم، ليبيّن أن: «إيمانه بشخصية طلابه الفنية جعلت منه صديقاً لهم، وهو ما أسهم في جعل شخصياتهم أكثر قوة على الصعيد العملي».

وتابع درويش متناولاً مرسم فاتح المدرّس، وما يحمله هذا المكان من خصوصية مميزة تعود إلى اختزان جدرانه وتشبّعها بذكريات وأحاديث ثرّة، إذ قال: «وقد شكّل مرسم فاتح مدرس في ساحة النجمة في دمشق مكاناً رائعاً، ليس فقط لما يحمله من ذكريات أعمال فاتح، بل لما أعطى وجوده من زخم للحياة الثقافية في زمنه، إذ إنه شهد على لقاءات وحواريات عدة بين شخصيات مهمة، سورية وعربية وأجنبية، وهي لقاءات ساهمت في نهضة الثقافة السورية عموماً، والفن التشكيلي على وجه الخصوص». ليختتم كلامه بالتأكيد على أن: «فاتح مدرّس هو فنان استثنائي متعدد الاهتمامات الثقافية، ورائد في مجال التشكيل، ومحدّث في مسار الفن السوري المعاصر، ورسام وفيلسوف وجودي، وموسيقي وأستاذ لأجيال من الفنانين التشكيليين، وكاتب صاحب أسلوب خاص ومميز ... أسهمت شخصيته وفنه في تفعيل حضوره على الساحة السورية والعربية، وفي العديد من دول العالم، حيث نقل الفن السوري إلى وجدان المشاهد، بلوحات انتمت إلى روح سورية، وإنسان المنطقة في أعمال تعبيرية شديدة التأثير على المشاهد - الإنسان، ما جعله يؤثر خارج جغرافية وطنه، وينتشر في هذه الصورة».

بشير بشير: المدرس قامة كبيرة

من جانبه رأى الفنان التشكيلي بشير بشير أن فاتح المدرّس: «هو قامة فنية كبيرة غنية عن التعريف، استطاع عبر تجربته الفنية وضع مفاهيم جديدة للحداثة، وكيفية تعبير الفنان عن رؤيته، لينطلق نحو العالمية الإبداعية مجسّداً الواقع المرير بلوحات تعبر عن المعاناة بطريقة خاصة لا تشبه أحداً».

وأردف: «برأيي أن فاتح هو فنان وإنسان بكل مقاييس الحياة، لعبت الظروف القاسية التي مرّ بها على صعيد حياته الشخصية دوراً في دفعه نحو الإبداع في فنون عدة، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على إثبات وجود مطلق له تجلى عبر إقامة المعارض في دول عربية وعالمية عدة، والأنشطة الثقافية والفكرية التي تخللت ذلك، إلى جانب الجوائز التي نالها، وإبداعه الشعري». ليختتم كلامه بالإشارة إلى: «حضور تجربة فاتح مدرّس الفنية، وتأثيرها في تجارب عدد من الفنانين التشكيليين السوريين الكبار الذين ساروا على نهجها، وحاكوا في أعمالهم أسلوب مدرّس الفني، مما يشي بأهمية هذه التجربة الخاصة والغنية التي أثبتت حضورها ماضياً وحاضراً، وأثّرت في تجربة الأجيال التي عاصرتها، والأجيال اللاحقة».

وفي الختام نستطيع القول إن فاتح المدرّس هو فنان شمولي، أبدع في المحترف التشكيلي السوري، واستطاع عبر لوحاته نقل صورة حداثية عن الفن امتزجت بروح الإنسان، وانتمائه لأرضه وبلاده.

رواية ..وقصيدة ..وشاعر..

ليندا إبراهيم

لشدة شعور غامض انتابني حالما قرأت هذه القصيدة - الرواية .. و حتى هذه اللحظة التي تورّطت فيها بكتابة هذه الكلمات -
شعور هو أقرب لذلك الذي ساورني عندما قرأت الرواية - المعجزة : « الشيخ و البحر ..» لآرنست همنغواي ذلك الشعور الذي يبقيك منذهلاً مشدوهاً أمام سطوة الإبداع و الخلق لما يصدر عما أُبدِع و خُلِق .. شعور يبقيك عاجزاً عن إدراك سر المثابرة و المصابرة و مقارعة المستحيل لولا أنه الإنسان هو هذه المعجزة و بطلها معاً ..
بلى .. سنوات و أنا أختزن هذه الفكرة - فكرة الرواية - في ذاكرتي إلى أن أتى نص إبداعي آخر ليسطر فصلاً آخر متكاملاً من الإبداع في الفكرة ذاتها و المحور ذاته للرواية موضع الحديث و بكل براعة و يقين و استشراف الشاعر و بكل ذكاء و مخاتلة النص تأتي القصيدة لتكتب الرواية شعراً ..فتصوغها فكرةً فكرة..و حكمةً حكمة .. و موقفاً إثر موقف من الحياة الإنسانية بكل تجلياتها ..فإذا الشاعرُ حكيمٌ و البحرُ حكيمٌ و السمكةُ حكيمةٌ ووحدها الحياة من تتقاذف الجميع كلاعب إلهي يوزع الأقدار و الأدوار و القدرة و الحظ .. و نفسي أسأل : ترى ما الجميل الجديد في هذه القصيدة ؟ سأتناولها فيما يلي تمحيصاً و تحليلاً و دراسة،غير مدعية القدرة على النقد و لا الإحاطة بمدارسه و مشاربه بل هو حس نقدي و تذوق للأدب آتيه بما أوتيت من لغة سانحة ..
فمطلع القصيدة قصصي سردي بامتياز «في رحلة الصيد الأخيرة ..» فيه من جرعة التشويق ما يكفي لجعل القارئ مشدوداً للنص ليتابع حكاية هذا الشيخ الحكيم الصبور الذي عركته الحياة لدرجة أنه اعتبرها رحلته الأخيرة و هذا كاف ليجعل منها مجازفته الكبرى إما حياة أو موت ..و لهذا فقد أعدّ العدة جيداً : طُعم رائع يغري أكبر طريدة في هذا البحر ، فكأن هذه «الرحلة «- «المعركة « هي معركة « الشيخ «، « الشاعر» الكبرى المصيرية في الحياة التي حشد لها مهارته و تجربته و ذكاءه و حنكته و حصيلة ما ملك من عزيمة ليربحها ..فخصمه لا يستهان به «و كلما اشتدت عزيمتها شددت الخيط أكثر» ، « ثم واصلت الكفاحَ « ،ولا ينسى الشاعر البيئة العامة فكلّ يأخذ نصيبه من الحياة على قدره فها هو طائر صغير يأخذ «حصته الصغيرة ..» أما الزمن فقد تقدّم و بدأت المعركة تمتد أطول لكن الإنسان الشيخ الصابر لا يقنع بأقل مما وطن عليه العزم من صيد وفير يليق بعمره و خبرته و تجربته فيواصل شحذ همته و تقوية عزيمته لتأتي المفارقة الكبرى : فالصياد الماهر المجرب أخذ يدافع عن «خصمه « ضد خصوم آخرين بكلّ شراسة : « دافعتُ حتى الموت « فأضحى الصياد يواجه على أكثر من صعيد في الوقت نفسه : السمكة ، الوحوش ، البحر و موجه و لجته الهائلة ، المركب الضعيف ، الحظ الذي لابدّ كان خصمه الأكبر هو الآخر .. لتأتي تشخيصاً مصغراً للحياة - الغابة كلّ يريد ما يريد و كأنه له وحده دون الأخذ بالاعتبار ما يريد غيره و هل هذا سوى إشارة للأنانية و ربما لقانون الغاب «لم أكن وحدي أحس بأنها لي دون غيري ..» حتى مرّت لحظة العجز الذروة في حبكة النص حيث فكر أنها لكبرها و عظمها فوق قدرته أو حصته من هذه الحياة فأي صيد ثمين هذا ؟ حسناً .. لقد بقي متشبثاً به حتى الثمالة لأيام و

أيام حتى كان الظفر و خاتمة المعركة فإذا به يؤوب ظافراً بهيكل عظمي فتأتي الحكمة على لسان الشاعر هذه المرة لتجمل النتيجة و تشذب المرارة - شأن الشعراء - فما يظفر به الإنسان في رحلة عمره المديدة قليل و لكن فيه من الحكمة ما إن اعتبر به لكان كنزاً ثميناً بحق : ما يحيلنا لبداية الكلام من أن الإنسان يصنع المعجزات بصبره و مصابرته و مثابرته فتأتي حياته ذخيرة لمن بعده و سواه حكماً ناضجة و تجارب جليلة ..
النص ليس فيه صخب النص الشعري،فهو متواضع تحت وطأة الحكمة التي تثقله بالأفكار الكبرى التي تضج بها الحياة الإنسانية ..نعم إننا أمام نص شعري مخاتل للعقل القارئ بما فيه من مفارقات و معانٍ متضادة و الموقف و نقيضه في الوقت نفسه : يقول الشاعر « و لأنها أقوى و أكبر من جميع خصومها انتصرت ، فنالت حتفها ..» !! «كانت مفارقة إذاً : أن القتيل يجر قاتله !!» ..
أما عبارات النص و جمله و مفرداته فواضحة لكلّ درجات القراء سلسة متسلسلة منطقياً مسبوكة ببراعة فائقة حمالة أوجه وافرة الحكمة : «كأنني أدركت لحظتها حقيقة ما جنيت من الحياة..»»لم أبحر على شيخوختي إلا لأثبت للحياة جدارتي ..» إضافة لهذا كلّه فإن ما رفع من فنية النص التراكيب عالية الخصوصية شديدة التكثيف بالغة الدقة ذات الإحالات فالفتنة لها صهيل ، و الانتشاء بالآلام كالأحلام : «و رجعت منتشياً بآلامي و أحلامي ..» ، « بصهيل فتنتها «
من هذا كله نخلص إلى أن النص الشعري قارب ببراعة و ثقة روح الرواية و تشرب عبرتها ..لدرجة يصعب على القارئ المتبصر التيقن من أن الشاعر هو ذلك الشيخ الصياد العجوز أم أنه « آرنست همنغواي» مبدع الرواية الأصل .. مضفياً من روحه الشاعرة و سحر بيانه و شعريته الفائضة ما أسبغ على القصيدة حلة إبداعية أجمل تحسب له..

الشيخ و البحر

الشاعر حسن بعيتي

في رحلة الصيد الأخيرة ..
بعدما صارعتُ موجَ البحر أياماً ..
ظفرتُ بحصتي الكبرى
شعرتُ بنشوةٍ .....
و أنا أشدُّ فريستي بصعوبةٍ نحويّ
أخمّنُ أنها كانتْ ستغلبني ..
و تنجوْ .. لوْ رأتْ شيخوختي ..
لكنها منْ حسْنِ حظي لا تراني
كانَ طُعْماً رائعاً ..
أعددْتهُ بعنايةٍ من أجلها
و لأنها أقوى و أكبرُ منْ جميع خصومها
انتصرتْ ... فنالتْ حتْفَها
بالرغم منْ آلامها .. كانتْ تُحدّدُ وجهتي
و تشدُّني غرباً ..
فيمضي الزورقُ المشلولُ خلفَ جموحها
كانتْ مفارقةً إذاً ..
أنّ القتيلَ يجرُّ قاتلَهُ ..
و حلّقَ طائرٌ فوق المكانِ ..
محدّقاً بالماء .. ثمّ اصطادَ حصّته الصغيرةَ
في غياب الآخرين
.. و طار مبتعداً
و راح الموجُ يعلو ... ثمّ يعلو
و النهارُ يغيبُ في عمْق المدى .
شيئاً فشيئاً ... كنتُ أشعرُ أنها تعبتْ قليلاً
ثمّ عاودتِ الكفاحَ ..
و كلما اشتدّتْ عزيمتها .. شددْتُ الخيطَ أكثرَ
و اتكأتُ على بقايا قوتي ....
ليلٌ طويلٌ مرّ ..
كانَ نزيفُها يكفي
ليستدعي المزيدَ من الخصومِ معَ الصباح
و هكذا .....
دافعتُ حتى الموت عنها ..
كلما انقضّتْ وحوشُ البحر تنهشُها ..
استفزّتْ قوّتي .. فصبرتُ أكثرَ
لمْ أكن وحدي أحسُّ بأنها
« لي دونَ غيريّ «
لمْ أكنْ وحديّ ..
و يبدو أنّ صيدَ اليوم أكبرُ
– رُبما – منْ حصّتي
أو ربما منْ قُدرتي ..
أبحرْتُ أياماً ..
و لمْ يتبقّ حينَ وصلتُ
إلا الهيكلُ العظميُّ منْ صيدي الثمين
كأنني أدركتُ لحظتَها ..
حقيقة ما جنيتُ من الحياة
و رحلةِ العمر الطويلةِ
رغمَ هذا .....
نمتُ منتشياً بآلامي .. و أحلامي
و كانَ البحرُ يفهمني ..
و يُدركُ أنني ما عُدتُ مُهتمّاً ..
فلمْ أبحرْ ..
–على شيخوختي –
إلا لأثبتَ للحياة جدارتي بصهيل فتنتها
و لمْ أبحرْ ..
–على شيخوختي –
إلا لأثبتَ أنني
مازلتُ صياداً قوياً

وتر الكلام

أبداً لن تتكرر..!

سعاد زاهر

انتبهت أنها تدور في نصف متر...!
تتوقف وتختلط لديها الأمور أكثر، تحاول إلغاء كل الأحاسيس التي اكتسبتها من المكان الطارئ، حالة عبثية سيطرت عليها حد الفجيعة، شعرت أنها تخالف كل ما تعلمته يوماً، وها هو ينسل منها تاركاً إياها غارقة في ارتباك لا يناسب حتى فتاة صغيرة.
توقفت عن فعل أي شيء، لم تعد تقاوم، مشت بهدوء شديد، دخلت أول مطعم لم تتذوق وجباته يوماً وطلبت وجبة حارة جداً، حين كانت تلسع اللقمة الصغيرة لسانها، وهي التي لم تعتد الأطعمة الحارة، شعرت أنها تستفيق تدريجياً..
عادت إلى البعيد، كيف حملت ثقل الأيام إلى هنا، ليست مجرد أيام إنها حياة كاملة تحاول التفلت منها، لكن هل تنجح في بضعة أيام..؟
كم أسعدها دخول فرقة إفريقية بملابس غريبة لتعزف بصوت عال نغمات نقلتها مباشرة إلى كل تلك الأمكنة الواسعة التي تخلت عنها يوماً لتحشر نفسها في ذاك الحيز تضيق تدور فيه إلى مالا نهاية..!
هي بعيدة كفاية فلما تحمل لحظاتها معها..؟
هل هو الخوف من تكرارها..؟
لا تصدق أنها خرجت منها، ولكن طالما أن ذاكرتها لا تخون، فستأخذها خيالاتها إلى قصة وحيدة، ودرب قصير...
شعرت كأنها توارب نفسها، تلهيها، ولكنها تعيش تفاصيل صغيرة وغريبة، تصنع حياة مختلفة، قد يطول الأوان لانتزاع الحالات المغروسة في روحها، ولكنها ستصر ألا تتكرر أبداً، ستصيغ أخرى بحساسية من اختبر مذاقات الحياة لتكون جرعات صافية لحنين لا يفتر ووقت يقبل التشابك مع الماضي ...
كلما ابتعدت عن سحر اللحظة، تأتي لقمة حارة لتوقظها..!
لربما ستدمن هذا المكان، وتعتاد على مذاق أطعمته الغريبة الحارة، وستحاول أن توازن بين الأمكنة بحيث لا يطغى مكان على آخر..!

المثقف والدور المطلوب

نبيل فوزات نوفل

كثر الحديث عن المثقفين ودورهم والمهام الملقاة على عاتقهم في بناء وتطور المجتمعات، واختلف دورهم من مجتمع لآخر عبر التاريخ، وحسب طبيعة النظام السياسي وثقافة المجتمع، ومدى احترامه للثقافة، والقيم التي تحكمه، ونتيجة لذلك انقسم المثقفون إلى أصناف وأنواع، فمنهم من آثر السير مع الواقع وتجنب المخاطر، ومنهم من اختار الصدام والمواجهة، ومنهم من اختار الموقف الانتهازي، ومنهم لعب دور المرتزق، ومنهم من أصر على أن يكون مثقفاً عضوياً، ومنهم من اختار النهج العدمي وأن يكون أداة بيد المراكز الاستعمارية وتسويق أفكار المستعمر لتدمير الانتماء للأمم والشعوب تحت مسميات مختلفة.

المثقف العربي والشباك الأميركية الصهيونية

لا شك أن الأمراض التي يعاني منها الوطن العربي والمجتمعات العربية في المجالات المختلفة تؤثر على المثقف وتزيد من أزماته، وفي مقدمتها الانسحاق أمام الثقافة الأجنبية، أو الارتباط فكراً وممارسة وسلوكاً بالأجنبي، ما أدى إلى الابتعاد عن فهم الواقع وابتكار الحلول المناسبة وطرح شعارات مستوردة لا علاقة لها بالواقع العربي، و بروز ظاهرة «العقل الأسير» الذي هو من نتاج المعاهد العالمية الدراسية داخل الوطن العربي أو خارجه والتي تسيطر على طريقة تفكيره، ما جعل من معظم المثقفين عاجزين عن بحث مشاكل المجتمعات العربية، واستنباط طريقة تحليلية مستقلة للأنماط السائدة، فجاءت نظرة البعض للأمور نظرة جزئية، مغتربة عن القضايا الأساسية للمجتمع، وغريبة عن قضاياه الوطنية والقومية، وفقدان الارتباط بالجماهير، فهناك من يعتمد نسخ لصق والأخذ بالنظريات والمفاهيم الواردة من الخارج دون تمحيص ما أدى إلى التعمية العلمية والفوضى التي نعاني منها حالياً، وهذا ساعد على فشل المثقفين في مجتمعاتهم، ووقوعهم في الاضطراب السلوكي والفكري والتناقض بين القول والفعل.. إلى جانب انسلاخ الكثير من المثقفين من انتمائهم الطبقي وتفشي روح الانتهازية، واللهاث وراء المواقع السلطوية فالمثقف كثيراً ما يقدم نفسه على أنه ضحية السلطة ولكنه قلما يتنازل عما تمنحه له السلطة من امتيازات إنه يطمح إلى اكتمال سلطته إلى أن يكون سلطة، ومما ساعد على عرقلة دور المثقف في الوطن العربي هو تخلف التعليم في الوطن العربي ،ما أدى إلى بقاء الجماهير الواسعة في حظيرة الأمية، وهبوط المستوى الثقافي العام لدى أجيال المتعلمين وتحول التعليم إلى شهادات، صالحة للعمل، وانتشار ظاهرة المثقف النرجسي الذي يعتبر نفسه هو الكاتب الوحيد والشاعر الوحيد، والأديب الوحيد، هذه الظواهر سمحت للقوى الاستعمارية وعلى رأسها الامبريالية الأميركية والصهيونية أن تشجع على انتشار ما يمكن أن نسميه بالمثقف الغراب، والمثقف المخملي، وغير المنتمي، والعدمي، والنرجسي، وهؤلاء ينتشرون ويتكاثرون بسرعة، تحت مسميات مختلفة فهم يعادون الايديولوجيا والانتماء الوطني والقومي..لقد سهل هذا الواقع على القوى الاستعمارية وخاصة أميركا اصطياد ما يسمون مثقفين وإيقاعهم في شباكها يرددون ما تريد تسويقه بهدف إضعاف الانتماء الوطني للشعوب، وخلق الإنسان المجرد من أي هدف أو قضية أو رسالة يحملها للنهوض بالإنسانية، وشجعت على ظاهرة التكفير وقتل المفكرين والمبدعين ومحاصرتهم، من خلال دعمها ما يسمى الفكر التكفيري والتاريخ العربي يذكر

حالات القتل والذبح والسلخ بحق نخبة متألقة من الكواكب المتلألئة في فضاءات الحضارة العربية والإسلامية، فعلى سبيل المثال لا الحصر ، /الطبري/ قتل، وأن /الحلاج/و (ابن المقفع و الجعد بن درهم و(ابن الفارض) والسهروردي، والإمام ابن حنبل و/المعري/ و/ابن حيان/ ،ونفي /ابن النمر/ ، وأحرقت كتب / الغزالي/، و/ابن رشد/، و/الأصفهاني/ ،واتهموا في إيمانهم، واتهم بالكفر /الفارابي/، و/الرازي/ و/ابن سينا /و/الكندي/ و/الغزالي / وغيرهم..وما يجري اليوم في الوطن العربي هو استمرار لما تم بالأمس فيجري دعم الفكر التكفيري والأنظمة الفاشلة لتبقى المجتمعات ترفل بالجهل والفقر ليسهل على أميركا صناعة العصابات المسلحة لتمارس القتل والتصفية للعقول النيرة، وما فعلته في الحرب العدوانية الإرهابية على سورية والعراق دليل واضح على همجيتها، فقد تم قتل الكثير من العلماء والمثقفين لقد أصبح الكثير ممن يسمون أنفسهم مثقفين عرباً أبواقاً لنشر وتسويق الفكر الغربي الأميركي، لنشر الاستسلام، واليأس، والركوع لأميركا والقضاء على الفكر المقاوم لها مقابل إعطائهم بعض الألقاب والدولارات وغير ذلك وهذا ما كشف عنه و«ارمرز» أحد مستشاري البيت الأبيض بتصنيفهم بثلاث فئات الأحصنة والحمير والخنازير.

المثقفون العرب والدور المنوط بهم

الثقافة أرقى ثمرة من ثمار الفكر، والتفكير هو أرقى ما في الإنسان من نشاط، وهو معرفة جوهر الأشياء والظواهر، والمثقفون فئة اجتماعية اختصاصها الفكر وهمها التساؤل والنقد والبناء، وهو دور رفيع وحاسم، وإن الذين ينكرون أننا نعيش في أزمة لا يخدعون إلا أنفسهم، والذين ينتظرون معجزة من خارجنا سوف ينتظرون إلى الأبد دون جدوى، وهذا يحتم على المثقفين أن يكون لهم موقف من الراهن، فليس من الطبيعي أن نطالب الآخرين أن يحققوا للمثقفين ما يريدون بل عليهم أن يناضلوا لتحقيق ما يريدون، وإذا ما حاولوا وحدهم أن يكونوا مثقفين فقط وأصحاب رأي فقط، فهم مهزومون ولن يكون لهم دور، فلا يحق للمثقفين أن يتبادلوا التوعية فيما بينهم فقط لأنهم يسقطون في هذه الحالة في خطاب ذاتي، فالواقع هم دائم والموقف الإيجابي منه مسؤولية دائمة، و ليس لأحد أن يقلل من هذه المسؤولية، وعلى المثقف أن يدرك أن هناك فرقاً كبيراً بين صاحب الحرفة وبين المثقف، فليس كل مثقف مثقفاً لأنه حصل على شهادة، وعلى المثقفين رفض جميع أشكال العمل الثقافي والأدبي والفني ذات الطابع الذاتي التي تهجر الواقع و النزول إلى ميدان العمل العام، وعدم الاستسلام لليأس، التصدي للجهل ومكافحته وتحطيم مظاهر الفساد بأنواعه، وأن يكرس المثقف فاعليته بممارسته النظرية والعملية، ولا ينتظر أن تعطى له الفعالية لأنها ليست قراراً خارجياً، وإنما نابعة من ذات المثقف ونتاج مبادراته الإبداعية، ومما يقوي من تأثير وأهمية المثقف استيعابه قدراً أكبر من ثقافة أمته، و قدراً أكبر من ثقافات الأمم، وأن يمتلك وعياً أكثر بدوره والتزاماً أعمق بفكره، وموقفاً أصلب من الطغيان والاستغلال وإرادة أقوى للتغيير ويهتم بقضايا أمته، إن التزام المثقف بقضية الجماهير لا يمكن أن يتوافر إلا إذا توافر وعي إيديولوجي نام ومتطور مقترناً بأخلاقية ثورية وهذا يساهم في إسقاط أي شكل من أشكال الانتهازية والوصولية والمغامرة، وكما نعلم إن المثقف هو من يكرس الإيجابيات ويحث الناس عليها، ويقاوم السلبي ويحذر الناس منها، إنه مراقب لسير عملية تطور المجتمع، إذاً لا يوجد حياد في المجتمع، وخاصة بالنسبة للمثقفين فالحياة موقف والموقف انتماء ومسؤولية. وإن كل مفاهيم العقل والعقلانية والهوية والعلمانية والتثاقف والحداثة والايديولوجيا، يظل العقل النقدي العمود الفقري لها ،وبالتالي فإن التزاوج بين عملية التواصل والتلاقح مع الثقافات العالمية والأصول المحلية، ضرورة، فكما يرى المفكرالعربي د.زكي نجيب محفوظ إن الذي يعاب على المثقف العربي ليس الأخذ من الغرب والأجنبي، بل النقل المخطوف، والفهم السطحي للمنقول وانتحال الأصالة فيما ننقله ورؤية الأصل المنقول من خلال الحجب المغلفة بالضباب.

ومن المهام الملقاة على عاتق المثقفين في الوطن العربي إعادة دراسة تراثنا، من موقف الاعتزاز بهذه الأمة لا لاستهزاء بها ، من موقع الثقة بالنفس لا من موقع اليأس، مستندين إلى منهج الفكرالنقدي الذي يسلك طريقة المواجهة والصراع مع الذات والآخر، و خوض معركة الذات مع الذات، وعدم اقتصار ثقافته عند ثقافة الأوائل لا تتعداها إلى ما آلت إليه الثقافة في عصره فليس من الشجاعة أن نواجه المدفع بالسيف، والتخلص من بدعة المثقف المستقل، فليس هناك مثقف بلا مبدأ أو عقيدة، وهذا يجعل منه غير مستقل، فالمثقف الحقيقي إما أن يكون في المعركة أو لا يكون..فعلى المثقف أن يتعرف على الواقع العربي كمقدمة لتغيره وأن يكون هذا التعرف تاريخياً وعلمياً وكلياً، وأن يتحدى و يكون له رأي في كل ما يعتري مجتمعه.

على موائد الأدب

دلال ابراهيم

في مأثورنا الشعبي يصفون الشخص عديم القيمة بأنه (لا يساوي قشرة بصلة) تلك القشرة كان لها قيمتها لدى الكاتب الألماني غونتر غراس الحائز على جائزة نوبل في الآداب عام ١٩٩٩ في روايته (تقشير البصل) حيث يعيد الحياة لأشياء طواها النسيان.. وبين تلك الطبقات العديدة تكمن مشاهدات لا حصر لها وقصص مضحكة ومحزنة ومؤثرة.. فيها يضع غراس يده على الجروح النازفة لغاية اليوم، حيث يستعرض فيها ذكرياته المثيرة للجدل أو بالأحرى يتابع خلالها فصول حياته التي بدأها مع روايته (طبل الصفيح) ومجاز البصل في عنوان السيرة الرواية ذو دلالة، فالسرد يتم كما تقشير البصل، كل غلاف يفضي إلى غلاف آخر، أو قشر يخفي تحته قشراً آخر، أي قشور تتداخل وتؤدي إلى بعضها.. وهذا ما كان يقوم به غراس في سرد ذكرياته، الحدث يقود إلى حدث آخر.. وبالتالي فإن هذه السيرة الصادرة في عام ٢٠٠٦ غطت أحداثاً حرجة ومهمة من تاريخ ألمانيا والعالم، لكن ما استوقف القراء والنقاد وآثار الغضب والنقمة عليه هي تلك المعلومة التي أخفاها غراس ستين عاماً أي : انضمامه أواخر الحرب العالمية الثانية إلى الوحدات النازية الخاصة (SS) وهو في السابعة عشرة من عمره، وقبلها كان ضمن صفوف شباب هتلر.. وقبل صدور المذكرات اعترف الكاتب الألماني إلى صحيفة فرانكفورت تسايتونغ بالحقيقة المخفية، واعترافه الآن إلى الصحيفة يمثل أحد الأسباب التي دفعته إلى كتابة مذكراته، كاشفاً أنه كتبها بعد صراع نفسي حاد وأنه فعل ذلك وفق ما يمليه عليه ضميره.. مشيراً إلى أنه لم يستطع الاستمرار في الصمت ولا بد من تقشير طبقات حياته ومبرراً التحاقه في صفوف تلك الوحدات النازية بأنها نابعة من رغبته آنذاك في التحرر من القيود الاجتماعية والخروج من دائرة الأسرة الضيقة إلى الفضاء الرحب.. والصدمة التي أثارتها اعترافاته أججها كونه كان الأديب الملتزم بقضايا سياسية قومية وعالمية والمعبر عن رؤى واضحة مؤمناً أن (الأديب ضمير الشعب النابض) وكذلك بسبب مواقفه النقدية اللاذعة للحقبة النازية ولكن من الناحية الفنية كان غراس يقشر لنا بصل حياته كما يحلو له مستجيباً لشرط الصدق الذي يشترطه منظرو السيرة الذاتية.

أما في روايته القصيرة (قبو البصل) يتحدث غراس عن رجل يستقبل زبائنه في مطعم ليس كباقي المطاعم بل هو قبو ملحق به، يقدم للزبائن صحوناً فيها رأس بصل من الحجم الكبير وسكاكين ضمن طقوس غريبة ترافقها موسيقا معينة، حيث يقوم جميع الزبائن والقادمين من شرائح اجتماعية ومهن متنوعة بتقطيع البصل إلى قطع صغيرة جداً لتتناثر هذه القطع هنا وهناك وليبدأ الجميع بموجة من البكاء الجماعي تتلوها اعترافاتهم المتضمنة أسباب قدومهم للمكان وضمن سلسلة الاعترافات تتكشف للقارىء قصصاً في غاية الغرابة.. وبهذا يحقق غراس للزبون المتعة ويزيل عنه ما علق في قلبه من حزن وأسى .. فليس لديهم القدرة على البكاء (تصوروا) إلا بهذه الوسيلة ! فيبكون ويبكون وتنهمر الدموع مدراراً.. لكنه ليس البكاء الذي يعتصر القلب وترتجف فيه الأبدان هو تماماً مثل الممثلين حين يضعون في عيونهم مادة تستدر الدمع حينما يقتضي المشهد البكاء والنحيب.. أي تسقط الدموع وتنهمر من زبائن قبو البصل بفعل مؤثر كيماوي وليس بحرقة القلب المضمخ بالألم والهموم، إنها دموع كاذبة ، مزيفة خالية من الإحساس والعاطفة .. ربما كان غراس يرمي منها إلى التكفير عن انخراطه في شبابه مع الشبيبة النازية زمن جيش الفوهرر.

ومن جانبه يتساءل الكاتب استيبان مورينو كورال في روايته (أناس بصل) وفيها يصنع من نفسه الشخصية المركزية قائلاً : « ماذا لو كانت الحياة تحتوي على أكبر عدد ممكن من الحقائق والقشور مثل البصل بقشوره المتعددة؟ « يرى كورال أن حياته الروتينية جعلته أشبه برجل بصل أي رجل متعدد القشرات، معقد، رجل بعدة طبقات، رجل مظاهر رجل مجروح رجل محبوب رجل مهزوز رجل محسود رجل خليط ورجل أسرار.. مؤكداً « جميع الرجال والنساء هم بصل والحياة ستكون مضجرة ومملة للغاية لو كنا مجرد قشرة واحدة أي تلك التي تظهر لنا.» وهؤلاء جميعاً تتقاطع مصائرهم، حتى تصبح متشابكة لغاية أن تندمج وتشكل الهيكل العظمي للحياة الشخصية الرئيسية.. وتقشير البصل هو تعريتنا وتجريدنا.. والحياة كفيلة بنزع القشرة عن كل شخص عند نهاية كل مغامرة.. وطبعاً كل طبقة تثير إحساساً وعاطفة وجرحاً خلفته لدى الكاتب الطفولة والهجرة والتوجه الجنسي والأسر الحاضنة والأبوة والأمومة المثلية ونظرة الآخرين إليه وأخيراً الفروقات.

ويستعرض الكاتب آلان بوسكيه في روايته شيكاغو، البصل البري المجتمع الأميركي في محاكاة لبصلة بقشورها المتعددة المتراصة فوق بعضها بحيث تشكل بانوراما للأخلاق والقيم الأميركية في وقتنا الحالي ولا سيما في شيكاغو ومن قشورها يستعرض شبان يافعون يهاجمون سائق سيارة فقط للتنفيس عن توترهم.. وماسح أحذية أسمر يحكي حقائقه الأربع لزبونه الأبيض.. بينما يتبرع ملياردير بمقتنياته الفنية لمتحف اللوفر لأنه يحب الخردل الفرنسي.. فيما يتحدث مصوران اثنان مختصان بالصور الإباحية عن تجارتهم.. ولدينا رجل أعمال يعد العدة لتخريب شركته.. فتاة تعري تحلم بأب لطفلتها.. شخصان غير معروفين يتعرفان على بعضهما خلال الزجاجة الخامسة والسادسة من الويسكي.. مفكر يعد نظرية للدفاع عن الدولار الإله. ناطحة سحاب تمسك بزمام السلطة.

وثمة الكثير من الكتب ومنها المخصص للأطفال تحمل عناوين البصل وقشوره، ولكن لا مجال لاستعراضها الآن.

وفي بحثي عن البصل في كتبنا العربية لم أجد أثراً له أو لقشره سوى في كتب الطبخ .. ولكن رد محمود درويش الاعتبار لمكانة البصل في قصيدته بعنوان (صاعدا) والتي غناها مارسيل خليفة وفيها امتزج الحب مع البصل

وللحطاب قلب يمامة

أنساك أحيانا لينساني رجال الأمن

يا امرأتي الجميلة، تقطعين القلب والبصل الطري وتذهبين إلى البنفسج

فاذكريني قبل أن أنسى يدي

ونحن !!! من منا مستعد أن يستعين بالبصل ؟ ليس للطبخ ولا لتقشير طبقات حياتنا وقد أصبحت مجردة وربما حتى من الورقة الأخيرة، بل لاستدرار الدموع في زمن تحجرت فيه مقلنا وخنقتنا عبراتنا وغصت قلوبنا بالألم والقهر الصامت.. وهل يصل بنا الحال إلى أن نحمل في جيوبنا قطعة بصل كلما حاصرنا الدمع وعصي علينا تفجيره نفرك أعيننا بتلك القطعة ؟ حينها لن يكون دمعاً كاذباً بل سيكون بركاناً يقذف حمم ما بدواخلنا.

زاوية حادة..

جدل درامي

غسان شمه

جدل ساخن تشهده الأعمال الدرامية خلال الموسم الرمضاني الحالي وعلى مستويات متعددة سواء في الإعلام أم على صفحات التواصل الاجتماعي، وقد امتد واسعاً ليشارك به عدد من الفنانين والمثقفين والجمهور، بطبيعة الحال، الذي يتلقى تلك الأعمال من موقع المتعة والتسلية وربما العادة من خلال تعليقات تكشف الكثير من آليات التلقي التي يمكن رصدها والبحث في مضامينها..

وكان من الطبيعي أن يتصدر مسلسل «كسر عضم» هذه المساجلات النقدية والفنية بسبب نبشه العميق في جوانب مؤلمة من الواقع المعاش والتركيز على جوانب محددة نخرها الفساد من خلال نص وعمل إخراجي أجاد في كشف الكثير من الوقائع التي تتعب الروح..

وقد ثمن البعض هذا العمل الدرامي الواقعي في شكل تناوله للشخصيات وللموضوعات المتعددة التي يتطرق إليها بغية كشف الفساد ومحاربته، لكن البعض لم يفضل الاقتصار على الجانب السلبي بل طالب بالإضاءة على جوانب إيجابية في المجتمع.. وهذه النقطة ربما تثير إشكالية فنية تتعلق بدور الدراما وطريقة تقديم رؤية القائمين على العمل، وهنا ندعي أنه من حق العمل تسليط الضوء على جانب أو أكثر، بل من الطبيعي التركيز على الجانب السلبي أو الشرير لدورهما الكبير في صناعة الحدث الدرامي وكذلك التنبيه على أثرهما السلبي في حياتنا.

ومن الأعمال التي أثارت جدلاً ليس بالقليل مسلسل «جوقة عزيزة» الذي يكشف جوانب من الحياة في مرحلة مبكرة من القرن الماضي في مدينة دمشق، كانت قد تداولتها الكثير من أعمال البيئة التي شوهت، بتقديرنا الكثير من تفاصيلها، ليأتي جوقة عزيزة ويكشف جوانب أخرى، ربما توصف بالمسكوت عنه، بجرأة رأى البعض أنها تجاوزت الحدود لكن ربما تكون الوثيقة التاريخية هنا ذات أهمية خاصة في التعاطي مع الحدث من وجهة نظر صناع العمل الذي حرص على كشف الكثير من صور الزيف الاجتماعي رغم بعض المشكلات الفنية على صعيد الأداء لدى البعض من المشاركين ولكن بالمقابل قدم آخرون أدوارهم بشكل جيد..

عموماً هناك الكثير من المحطات التي يمكن التوقف عندها في هذين العملين، وكذلك أعمال أخرى.

هل تغيرت الصورة..؟

ماريو فارغاس يوسا: أدباء اليوم تحولوا إلى مخادعين

مها محفوض محمد

كان ذلك قبل سبعة أعوام من الآن أي عام /٢٠١٥/ يعلن فارغاس بكل وضوح رأيه بمواقف الكثير من الكتاب والمثقفين الذين تحولوا إلى أبواق لا أكثر ولا أقل والدليل على ذلك ما كان يجري، فهل تغيرت الصورة، وما الذي يمكن قوله حول ذلك، لاسيما أننا نرى النفاق في كل المشهد أو معظمه، إعلامياً وثقافياً في الغرب، ومن يمضي وراء محفظة المال الذي يبيع ويشتري ؟

في هذا الحبر المستعاد من عام ٢٠١٥م نريد أن نسلط بقعة ضوء على ضمير العالم الذي بدأ يتلوث وقد ازدادت البؤرة ولكن إلى متى، استعادة هذا الحوار، هذا الرأي لعله يحدث صدمة هزة، يثير يقظة ما، نتوق لذلك.

بلزاك أميركا وحضارة الاستعراض

لقبه بلزاك أميركا اللاتينية، ذاع صيته في عالم الأدب بعد روايته الأولى «المدينة والكلاب» التي نال عليها عدداً من الجوائز تتالت بعدها رواياته وجوائزه «من ضمنها جائزة ثرفانتس للآداب عام ١٩٩٤» إلى أن حاز جائزة نوبل للآداب عام ٢٠١٠ بعد نحو ثلاثين عملاً بين رواية ومسرحية ودراسة من أهمها «البيت الأخضر»، «امتداح الخالة»، «حرب نهاية العالم»، «حفلة التيس» وآخرها «البطل الخفي».

الروائي الصحفي والسياسي البيروفي ماريو فارغاس يوسا (مواليد البيرو ١٩٣٦) يعد من أعظم أدباء أميركا اللاتينية أبدع في جميع أعماله التي تميزت بنزعة التغيير للمجتمع، فلم يتوقف عن الدفاع عن حقوق الإنسان كما قدم وصفاً رائعاً في رواياته لبلاده والتي مزقها العنف والتعصب وركز على حقيقة الحياة فيها، ولا تنفصل عنده السياسة عن الأدب وبرأيه فإن الأديب يمكن أن يقوم بدور سياسي مهم وكان قد رشح نفسه لانتخابات الرئاسة في البيرو عام ١٩٩٠.

العمل الأخير له صدر عام ٢٠١٢، وهو أول عمل بعد نيله جائزة نوبل، كتابه «حضارة الاستعراض» الذي أثار جدلاً واسعاً في الأوساط الثقافية حيث نشر يومها باللغتين الإسبانية والإنكليزية، وفيه يطرح يوسا واقع المثقف الذي تحول إلى فوضى، إذ لم يعد الزمن زمن المثقفين إنما زمن استعراض وتضليل وإن ثورة الاتصالات والعولمة سوف تجرف العالم نحو الانحطاط الثقافي فينطلق الكاتب في حرب ضد التفاهة الفكرية «تفاهة المثقفين» وصلافة السياسيين ووقاحتهم وانحطاط الفن في اللهو والتسلية وفي ذلك يقترب يوسا من أدباء آخرين طرحوا الفكرة ذاتها مثل الكاتب الأميركي جورج ستاينر وغي ديبورد الذي يرى أن قراءة مجتمع الاستعراض ضرورية جداً، حيث تسيطر السلعة في جوانب الحياة من خلال الاستعراض الذي يصّر على تحويل البشر المنتجين إلى متفرجين سلبيين وغيرهم من الأدباء الذين يؤكدون اليوم تراجع القيم الديمقراطية في المجتمع الغربي وأن المثقف لم يعد قادراً على قول الحقيقة وهذا ما تحدث عنه الفيلسوف الفرنسي دومينيك لوكور في كتابه «المثقفون التافهون» وكان فرويد قد نشر كتابه «قلق في الحضارة» منذ عام ١٩٣٠ ليعبر أدباء اليوم عن قلقهم من اللاحضارة أو اللاثقافة من ثقافة مضادة هدفها تدمير كل ثقافة، ففي كتابه «حضارة الاستعراض» يؤكد يوسا أننا نعيش اليوم في حضارة، ثقافتها التسلية واللهو والابتعاد عن أي جهد وتعب أي هي استعراض وليست حضارة، فينتقد الكاتب المساحات الواسعة التي تفسحها الصفحات الثقافية في المجلات والنشرات لعالم الأزياء والطبخ، حيث أصبح مصممو الأزياء والطهاة هم النجوم بدلاً من الكتاب والعلماء والفلاسفة أليست حضارة الكارثة كما يشير؟.

يقول ماريو يوسا: صحيفة لوموند الفرنسية وهي من أهم الصحف العالمية كادت تعلن إفلاسها في الأعوام الأخيرة لولا أنها بدأت تخصص مساحات للتسلية للنكتة ثم للخبر ثم للتفاهة والفضيحة وهذا ما تنتهجه كل وسائل الإعلام الكبرى في العالم من دون استثناء كي يتسنى لها إثبات وجودها فتقدم الأخبار استعراضاً بطابع مثير ويلتبس الحق بالباطل كما يحدث في عالم الخيال.

دمقرطة الجهل

وبمناسبة نشر الكتاب باللغة الفرنسية سابقاً تحدث يوسا إلى مجلة لوبوان الفرنسية عن تسميته الكتاب «حضارة الاستعراض» قائلاً: هو استعراض من دون حضارة، فكلمة ثقافة تغير معناها جذرياً عبر جيلين أو ثلاثة إذ كان لدى العالم فيما مضى إجماع حول ما نسميه «الثقافة العليا» من آراء وفنون وعلم الجمال، اليوم يدور الإجماع حول فكرة أن الثقافات جميعها متساوية، فلم تعد الثقافة مرادفاً لفكر نقدي لحكم جمالي إنما أصبحت ثقافة لهو وتسلية بعيدة عن أي نقد حقيقي، أما الثقافة الأكاديمية الجامعية فلا تزال صامدة لكنها معزولة عن المجتمع، بينما ثقافة عامة الناس هي التلفزيون والمسلسلات لتصبح الظاهرة إجمالية انتشرت عدواها في جميع قارات العالم وبين كل الطبقات.

لم يعد هناك دمقرطة للثقافة إنما للجهل لا لثقافة اليوم حتى بين النخب نجد أناساً سعداء بما هم عليه من جهل بتذوق الأدب والفنون، لقد تضاءل تأثير المثقفين في المجتمعات اليوم ولا ننسى انحدار المستوى الفكري والأخلاقي لدى النخب السياسية، أعتقد أن السياسة هي مفتاح كل شيء، وعلى الروائي ألا يبتعد عنها لقد ترشحت للرئاسة مع أنها لم تكن ميولي ولم تكن قدري، ومنذ ذلك الحين أعيش في إسبانيا كشاهد ملتزم أدافع عن الأفكار الليبرالية ليس كعقيدة إنما كهدف، لقد منحت جائزة نوبل للآداب لأنني دافعت عن الحرية عبر الأدب وجائزة نوبل بالأصل تم استيحاؤها من قيم اليسار المضبوطة سياسياً وأنا آخذ على عاتقي أني مع جماعة القرن التاسع عشر من الليبراليين الفرنسيين ومع كارل بوبير وجان فرانسوا ريفيل عبر أبحاثي ورواياتي.

اليوم علينا التوضيح أن هناك الكثير من أشياء الماضي يجب الحفاظ عليها في عالم الغد مثل حق الاختلاف، التراتبية، النخب ودورها وأمور أخرى من حقنا أن يكون لدينا ردود أفعال تجاهها، فأنا أريد الحفاظ على ما هو نادر وقيم وسط هذا اليباب الثقافي الذي وصل إليه العالم المستعرض.

وعن سؤال: إلى ماذا يخدم الأدب يجيب يوسا:

الأدب غذاء للروح المتمردة والإبقاء على الحس النقدي ومناقضة أنّ العالم متقن وأن المجتمع يسير كله بشكل جيد، الأدب الحقيقي هو الرافض دوماً لزمن الخلط والفوضى، الأدب يساعد على فهم الحياة فهو يعيدنا إلى الماضي ويجعلنا نشعر بالانتماء لتجربة البشر الغنية المتراكمة عبر العصور، فهو أعظم إنجاز للثقافة وكان المحرك الحقيقي للتطور التاريخي والمدافع الأكبر عن الحرية، واليوم هو ضروري أكثر من أي وقت مضى لأنه ينبهنا يوقظنا يدل على عيوبنا لكن للأسف كثير من أدباء اليوم تحولوا إلى مخادعين يحاولون إغماض عيوننا كما نغمض عيون الأطفال حين تنويمهم، والرواية لم توجد لتجعلنا نحلم بل لتوصّف حالة الفوضى والخواء الذي يسود العالم، وما أخشاه هو انتفاء فكرة وجود النخب وأن النخبة يجب أن تختفي لدى البعض في عصر الديمقراطية ما يشكل التباساً كبيراً وهذا يقود الفكر ليس إلى الحرية بل إلى فجور ثقافي.

وعن سؤال ما الشخصية في الرواية لكاتبها؟ يجيب يوسا:

هي إسقاط لذاته، للعنة الموجودة في داخله لكنها أيضاً صورة عن الكائنات المحيطة به والكاتب ليس بالأمر السهل عليه أن يكون تحت رحمة شخصياته كما أن الأدب يدفعنا إلى النرجسية وإلى الاستعراء، فالروائي يقوم بدور متواضع لكنه بالغ الأهمية وغير محدود إذ لا يتحدث عن نفسه إنما يتحدث بصوته وسيرته الخاصة عن العالم حيث يقود صراعه ضد الفوضى والالتباس.

وما وجعك اليوم؟ يجيب يوسا: الفساد البطيء للعقول والمؤسسات، الصفاقة التي تقول: ما فائدة الجمال؟ والحقيقة غير موجودة كل ذلك يتساوى عند الذين يقلعون عن التفكير.. وتلك مهمة الأدب أن يذكرنا بمقدار ما تكون الأرض التي نقف عليها صلبة وبمقدار ما تكون ألوان المدن التي نعيش فيها براقة يعني أن الشياطين تنتظرنا في كل مكان.

ولماذا تكتب؟ لأني غير سعيد.

طفل عند شجرة عيد الميلاد في حضرة يسوع

ترجمة: ثائر زين الدين

تأليف: فيودور دوستويفسكي

يا لي من روائي، كتبت على ما أظن «قصة»، وأقولُ «على ما أظن» مع علمي الكامل أنني كتبتها بنفسي لكثرة ما يتراءى لي أنها حدثت في مكان ما، ووقتٍ ما.

ولعلّها حدثت عشية أحد أعياد الميلاد، في مدينة كبيرة وجوّ جليدي شديد البرودة.

يتراءى لي طفلٌ صغير، في السادسة من عمره، وربما أصغر، يصحو في قبو بارد ورطب، يرتجف في قميصه الطويل الفضفاض. أنفاسه تطلق بخاراً أبيض، يجلس على صندوق في الزاوية، يزفر في الهواء ويراقب البخار المتصاعد جرّاء الملل. لكنّه يريد أن يأكل، اقترب عدّة مرات من مرقد أمه المريضة، التي تنام على فراش رقيق كفطيرة، ووضعت تحت رأسها صُرّة عوضاً عن المخدّة. كيف جاءت إلى هذا المكان؟ أغلب الظن أنها قدمت مع طفلها من بلدةٍ أخرى، وفاجأها المرض، صاحبة القبو أخذتها الشرطة قبل يومين، وتفرق مستأجرو القبو يحضرون للعيد، ولم يبق في المكان إلا شخص مهملٌ كسول، قضى اليومين الماضيين مستلقياً ومنهكاً من السُكر حتى الموت، غير معني بانتظار العيد.

في الركن الآخر من الغرفة كانت عجوز ثمانينية تئن من أوجاع الروماتيزم، فقد كانت فيما مضى وفي غير هذا المكان (مُربية أطفال)، وهي اليوم تموت وحيدةً، إنها تئن وتتنهد، وتزجر الطفل الذي أصبح يخاف الاقتراب من الركن الذي ترقد فيه.

تمكن من إيجاد ما يشربه في العتمة، لكنه لم يعثر على كسرة خبز واحدة يأكلها... وللمرة العاشرة يقترب من أمه ليوقظها. وأخيراً يشعر في الظلمة بخوفٍ شديد:

فقد حلّ الليل منذ زمنٍ، وما أشعل أحد ناراً. واعترته دهشة شديدة حين قرص وجه أمه، فلم تتحرك، وكانت باردة كالجدار. فكر: «باردٌ جداً الجو هنا»، تمهل قليلاً ناسياً كفه على كتف الميتة، ثم نفخ في أصابعه محاولاً بعث الدفء فيها، وفجأةً راح ينبش الفراش بحثاً عن قبعته، ودون ضجيج خرج من القبو متلمساً طريقه وقد كان بإمكانه أن يفعل ذلك من قبل، لولا خوفه من الكلب الضخم الذي ظلّ ينبح طوال اليوم في أعلى الدرج، عند باب الجيران، لكن الكلب ذهب الآن، وهاهو الصبي فجأةً في الشارع.

أي مدينةٍ هذه يا رب! إنّهُ لم يرَ شيئاً كهذا من قبل. هناك في المدينة التي جاء منها يكون الظلام في الليالي حالكاً، وليس سوى مصباح واحد يضيء الطريق، والبيوت الخشبية الخفيضة تقفل بالمزلاج، وما إن يبدأ الليل بالهبوط على البلدة حتى يختفي الجميع في بيوتهم، ويبقى نباح قطعان كاملة من الكلاب، مئات بل آلاف الكلاب تعوي طوال الليل! لكن بالمقابل كان الجو دافئاً، وكانوا يقدّمون له طعاماً. أما هنا، رباه...

وإنّه لا يجدُ ما يأكله! وما أشد الصخب والضجيج، ما أسطع الأنوار، وما أكثر البشر والخيل والعربات، وهذا الصقيع... الصقيع!

البخار المتجمّد يندفع من خياشيم الخيول المجهدة، من وجوهها التي تتنفس بحرارة، وتحت الثلج الهش ترن حذواتها فوق بلاط الطريق. والجميع يتدافعون. رباه... كم يرغب أن يأكل شيئاً، أيّ شيء، وها هي ذي أصابعه تؤلمه فجأةً. إلى جواره يعبر شرطي حفظ النظام، ويشيح بوجهه عنه، متظاهراً أنه لم يره.

وهذا شارعٌ آخر، ما أعرضه! فيه ستدوسه المارة على الأرجح، إنهم يصيحون، يندفعون عدواً، أو فوق وسائط النقل المختلفة، والضوء... ما أشد سطوعه!

آه ماهذا أيضاً؟ زجاج نافذةٍ كبيرة وواسعة، يُبدي خلفه غرفة، وفي الغرفة شجرة صنوبر تلامس السقف، إنها شجرة عيد الميلاد، كم

من الأنوار فيها، والشرائط المذهبة والتفاحات، كم من الألعاب والأفراس الصغيرة حولها. أولادٌ يركضون في الغرفة، نظيفون أنيقون، يضحكون ويلعبون، يأكلون ويشربون شراباً ما.

هذه طفلة راحت تُراقص صبياً، كم هي جميلة. وهذه الموسيقا إنها تُسمع من وراء الزجاج. ينظر الصبي ويتعجب، ثمّ يضحك، بينما تؤلمه أصابع قدميه، في حين احمرّت أصابع يديه بشدة، وما عاد بمقدوره أن يثنيها، بل إن مجرد ارتعاشها يبعث الألم. لحظتها يتذكر كلّ ذلك فيبكي، ويركض مبتعداً عن النافذة... لكنّه يمرّ بأخرى، خلفها غرفة تحوي شجرة، وعلى الطاولات هذه المرة فطائر متنوعة باللوز وسواه، حمراء وصفراء.

وإلى الموائد تجلس أربع سيدات غنيات، يُقدمن الفطائر والمعجنات لمن يقترب من المائدة، ويُفتح الباب فجأةً فيدخل من الشارع سادةٌ كثيرون.

تسلل الصبيُ، فتح الباب ودخل عليهم، فارتفع صراخهم عليه وكثرت تلويحات أيديهم، ثم أسرعت سيدة باتجاهه ودست في يده كوبيكاً. فتحت له الباب على الشارع وأخرجته.

كم شعر بالخوف، والكوبيك سقط في اللحظة نفسها، ليرنّ متدحرجاً على الدرجات، فالصغير لم يستطع أن يثني أصابعه الحمراء عليه. ركضَ هارباً بسرعة، ثم مشى لا يعرف إلى أين. أراد أن يبكي من جديد لكنّه خاف، فراح يركض وهو ينفخ في يديه. شعر بالفزع حين أحسّ أنه وحيدٌ تماماً، ولكن فجأةً... رباه! ما هذا؟ حشدٌ من الناس يقفون ويستغربون فوراء زجاج إحدى الواجهات ثلاث دمىً صغيرة، ألبست فساتين حمراء وخضراء، وهي تشبه الأحياء تماماً، إحداها على شكل عجوزٍ يجلس ويعزف على كمانٍ كبير، والاثنتان الأخريان تقفان تعزفان على كمانين صغيرين، تهزّ الدمى رؤوسها مع الأنغام وتتبادل النظرات، بينما تتحرك شفاهها وكأنها تتبادل الحديث، دون أن يُسمعَ منه شيئاً خلف الزجاج.

ظنّ الصبي للوهلة الأولى أنها حيّة. وحين أدرك أنها ألعاب انفجر ضاحكاً، لم يكن قد رأى من قبلُ مثلها، ولم يتخيل أنها موجودة، كان يريد أن يبكي مما يعانيه، لكن ما يشاهده يبعث على الضحك كثيراً.

أحسّ فجأةً أن أحداً ما خلفه أمسك به من قميصه، كان صبياً شريراً، ضربه على رأسه، وخطف قبعته، ثم وضع رجله بين ساقيه ودفعه، فتدحرج الصغير على الأرض، وصرخ بعض الناس. اعتراه الخوف، نهض وعدا... عدا مبتعداً، لا يعلم إلى أين! دخل فناءً يفضي إلى أحد البيوت، واختبأ خلف كومةٍ من الحطب: «هنا لن يبحثوا عني، والمكان مظلم».

جلسَ وقد جمع أطرافه، والخوف يسيطر عليه، فلا يستطيع التنفسَ. وبغتة... وبشكلٍ مفاجئ تماماً شعر براحةٍ غامرة: لم تعد يداه وقدماه تؤلمانه، وأحس بالدفء، بالدفء الشديد كما لو أنه إلى جوار موقد. آخ ما أروع هذا، لم ينم منذ مدة...

والآن ما ألذّ أن يغفوا!.

«سأجلسُ هنا، ثم أعود لأشاهد الدمى» فكّر الصبي وابتسم حين تذكرها «فقد بَدَت حية تماماً»، وسمع فجأةً صوت أمه تغني له أغنيةً منحنيةً فوقه. «ماما، إنني أغفو، آخ ما ألذ النوم هنا!».

تعال إليّ، إلى شجرة عيد الميلاد أيها الصغير. وشوشَ فوقه صوتٌ هادئٌ، فظن في البداية أنه صوت أمه. ولكن لا، ليست هي، فمن إذن يدعوه؟ لكنه لا يرى أحداً.

شخصٌ ما ينحني عليه، ويضمّه نحوه في العتمة... وهو بدوره يمدّ إليه ذراعيه، وَ... فجأةً يا لهذا النور! يا لهذه الشجرة التي لم يرَ مثلها في حياته! أين هو الآن؟ كل ما حوله يضيء، يتلألأ، والدمى ما أكثرها - لكن لا، ليست دمى، إنهم صبية صغار، وفتيات صغيرات، ينبعث الضياء منهم جميعاً، هاهم يتحلقون حوله، يرفرفون، يقبلونه، ويحملونه معهم، ثم ها هو ذا يطير بنفسه، ويرى أمه تنظر إليه وتبتسم فرحة.

- ماما، ماما، آه ما أروع هذا المكان يا أمي!. يصرخ الطفل مخاطباً أمه. ثم يتبادل القبلات مع الصغار من حوله، ويرغب لوهلة أن يحدثهم بسرعة عن تلك الدمى التي رآها خلف الزجاج.

- من أنتم أيها الصغار؟ من أنتن أيتها الصغيرات؟ يسألهم بفرح ومحبة.

- هذه «شجرة يسوع» - يجيبونه - إنه ينصبها دائماً في مثل هذا اليوم، للأطفال الذين ليس لديهم شجرة عيد ميلاد هناك...

وعلمَ أن كلّ هؤلاء الصغار مثله، إنما هم أطفال، لكن بعضهم تجمّد في السلال التي تركوا فيها على درجات بيوت البيروقراطيين في بطرسبورغ، وبعضهم مات مختنقاً في ساعات الرضاعة عند الأستونيين، في دور الحضانة . وآخرون ماتوا على أثداء أمهاتهم الجافة «زمن مجاعة سمارا »، ومنهم من مات في القطار مختنقاً من العفونة والنتانة في حافلات الدرجة الثالثة، لكنهم جميعاً هنا الآن، جميعهم ملائكة عند يسوع، يرفرفون حوله، يمد إليهم يده ليباركهم ويبارك أمهاتهم الخاطئات...

الأمهات اللواتي ينتبذن ركناً قصيّاً ويبكين. إنهن يتعرّفن أطفالهن، بينما يطير الأطفال باتجاههن ويقبلنَهُنّ، ويمسحن بأيديهم الصغيرة دموعهن، ويرجوهن ألا يبكين، لأنهم يشعرون هنا بفرح غامر...

في الصباح عثر البوابون على جثة طفلٍ هارب متجمد خلف كومة حطب، وحين بحثوا عن الأم وجدوها وكانت قد ماتت قبله، والتقى الاثنان عند الرب في السماء.

لماذا كتبتُ هذه القصة، التي لا تناسب مذكرات حقيقيّة عقلانية، ولا كاتباً مثلي؟ وكنت قد وعدت بكتابة قصص عن حوادث حقيقية! لكن هنا جوهر الأمر، فأنا أتصوّر على الرغم من ذلك أن ما رويته كان قد حدث فعلاً - أعني ما حدث في القبو وخلف كومة الحطب، أما ما يتعلق بالشجرة عند يسوع - فأنا لا أعلم، ولا أستطيع أن أقول لكم هل حدث هذا أم لا؟ وهنا تتجلى قدرتي الروائية، في التخيّل!.

خَيار واحتمالات

غسان كامل ونوس

في مسار العمر الجادّ إلى نهايته؛ بلا أدنى شكّ، تضاريس مختلفة، وتعرّجات، ومنعطفات ومفارق، لكنّ كلّ التفرّعات المختارة، ستنتهي بك، وبكيانك، وبأحيازك، التي كنت تشغلها في مواقع متعدّدة. وحين تختار سمتاً وطريقاً، فلا بدّ من أنّك ستفقد خيارات أخرى، قد تكون أفضل وأيسر، وقد لا تكون! والأمر ذاته سيحدث، إن لم تختر، ومضيت كما يريد سواك؛ فعدم الخيار خيار، واحتمالات، ونتائج، ستتحمّل تبعاتها ومسؤوليّاتها أيضاً. وتبقى الخيارات المتاحة، دلائل، تتدخّل في التصرّف حيالها، وتراعى في الإقدام على أيّ منها؛ كما تعدّ القدرة الشخصيّة على تمييز الأكثر مناسبة، مؤشّراً مهمّاً؛ إضافة إلى مؤشّرات أخرى قد لا تنتهي- ربّما؛ منها المواهب والهوايات والمَلَكات والرغبات والقابليّة والاستعداد الفطريّ، والتحصيل المكتسب، والظروف المحيطة بالشخص، والمتّصلة بالزمان وما يرافقه، والمكان وما فيه، وكثافة الكوادر والعناصر وإمكانيّاتها وفعاليّتها وحيويّتها، ودرجة مواكبتها، أو معارضتها... وبقدر ما يشكّل تعدّد الفرص، زيادة في إمكانيّات الاختيار الأقرب إلى ما يريده الشخص، أو يطمح إليه، أو يوائمه، فإنّ ذلك قد يزيد من حيرة المرء، وأهمّيّة الاختيار، ومضاعفة العوامل الأخرى وتأثيراتها المتشابكة. وهذا ما قد يسبّب إرباكاً لمن سيختار؛ ولا سيّما أنّ المتدخّلين في هذا كثر؛ ممّن يعنيهم الأمر؛ وهذا طبيعيّ، ومألوف، وقد يكون مفيداً ومطلوباً؛ وممّن لا يعنيهم؛ وهم الأكثر عدداً وحماسة! وقد تصحّ المقاربات، والمقارنات، والأمثلة، والروايات، والتقييمات، والشواهد، لدى آخرين، وقد لا تصيب، وتدخل فيها الأهواء الشخصيّة، والعواطف، والميول، والغرائز الإيجابيّة والسلبيّة؛ وتسهم في مفاقمة التشويش والتعكير؛ كما أنّ ما يناسب كائناً، قد لا يناسب آخر، وما كان من تجارب، ووقائع، وسلوكات، ومحصّلات، تختلف أيضاً.

ومع ذلك، وفي ضوء كلّ هذا، فإنّ الأهمّ أن يكون الشخص المعنيّ مباشرة في المسار، هو من يختار، ولا مانع؛ بل لا بدّ من بحث واستشارة وتساؤلات؛ تفترض الإجابة والعرض، من دون الإلحاح والفرض؛ ليكون الشخص مسؤولاً أمام نفسه، والآخرين، والحياة؛ بدلاً من اتّهام الظروف وسواها، ولا تسلم الأقدار العُلويّة من تحميلها الأوزار؛ فيما قد تهمل أهمّيّة الأقدار الأرضيّة، أو تحيّد، أو تجنّب؛ لهيمنة، ونفوذ، وخوف، وعجز.

لا شكّ في أنّ مشكلات وعثرات تنهض، أو تكمن، في أيّ درب، وأنّ في أيّ سمت رياحاً ومتحرّكات وجاذبيّات ودوافع، ولكلّ سائر غايات وطاقات وعلاقات ومرجعيّات ومستجدّات؛ لهذا تكون الجدوى متباينة، ومتفاوتة، وتغدو أفضل وأعلى، حين يحضّر للحالات نفسيّاً ومادّيّاً؛ فتجمّع المعلومات، وتنتخب الأفكار، وتُهيّأ الأدوات والوسائل، وتحصّن الميادين والبيادر، وتحسّن المواصفات والمعطيات لدى المشتغلين في هذا الأمر.

ونخطئ كثيراً، حين نعتقد جازمين، أنّ هناك خياراً صحيحاً تماماً، وخياراً خائباً تماماً؛ فهذا من المستحيل تأكيده؛ لأنّ في كلّ احتمال احتمالات أمامه، وأخرى بناء عليه، وفي كلّ منها تفاصيل وحيثيّات، لكلّ منها نظرة وموقف وتقييم، تقوم نتائجها على رؤية وموقع، وخصال، ومصلحة، وعمر، وعصر، وظروف، وتطوّرات، وأحداث مألوفة أو طارئة، وشؤون أخرى، متّصلة أو منبتّة؛ يمكن أن تؤثّر على النفسيّة، والحالة الذهنيّة والعقليّة والصحّيّة، تضاف إلى الحالات الاقتصاديّة والاجتماعيّة والمسؤوليّات، والحضور أو الغياب، والإسهامات الشخصيّة الآنيّة والمستقبليّة.. وبما أنّ أيّاً منّا لا يعيش وحيداً، في بقعة منعزلة عن الكائنات الأخرى، فإنّ هناك تأثيراً لكلّ هذا في المجرى الخاصّ والعامّ، الشخصيّ والأسرويّ والمجتمعيّ والمؤسّسيّ والوطنيّ والإنسانيّ، القريب أو البعيد؛ زماناً ومكاناً، وعلى مستوى الحيّز المباشر والأحياز غير المباشرة؛ وصولاً إلى العالم؛ مع الأخذ بالحسبان ما قد كان من قبل الشخص وسواه، وما قد يكون.. ولهذا يمكن أن يحدث تعديل في النظر إلى تجربة كائن ما، إذا ما كانت فاشلة أو ناجحة، حسب وجهة النظر، وصاحبها، ورصيده، وموقفه، ومنطلقه، وقناعاته ومرجعيّاته؛ وما قد يكون إنجازاً لدى نفر من الناس، قد يكون إخفاقاً عند آخرين؛ كما أنّ هناك أفكاراً شائعة، ودروباً مطروقة، وتقييمات جاهزة، ورؤى عامّة، ووضعيّات مزمنة لشريحة محدّدة، أو لمواطني منطقة، تسوّق لمسارات وجهات، وتدفع عدداً من الناس فيها وإليها؛ بحكم الإرث، والعادة، والحاجة، والانقياد، والتقليد، وعدم الاستقلاليّة، والعجز عن الرفض الفرضيّ والمواجهة الجمعيّة، وعدم القدرة على الإقناع، وحتّى الاقتناع! ممّا يؤدّي إلى استمراء السائد، وتأخّر انزياح الرؤى، وتعثّر تبدّلها؛ ومن الطبيعيّ هنا، أن يحدث تضليل في موضوع الاختيار، والتقييم، واحتساب الجدوى، وقد تسهم في هذا جهات نافذة خاصّة وعامّة، ووسائل إعلام متعدّدة التمويل والاستهداف والمبتغى، فتتشابه الوجوه، وتتكاثف الكفاءات المتماثلة،

ويقلّ التنوّع، ويستحيل التكامل، وتتشوّش المصائر، وتتأخّر الإنجازات...

صحيح أنّ قيمة التحصيل العلمي، ليست موضع شكّ أو خلاف؛ لكنّ هذا الإجماع قد يمنع موهوبين من إشباع توقهم وطموحهم واحتياجاتهم المبدعة في فضاءات أخرى، وهناك من ينجح في جمع المعلومات النظريّة، ويتردّد في عمليّة استثمارها، والحالة المعكوسة واردة أيضاً؛ فهناك مهرة وخبراء في التطبيق، ومتأخّرون في الحفظ والاختبارات النظريّة... وتكاد مجالات وإمكانيّات ومهن، تستهلك طاقات وجهوداً وأعماراً وأجيالاً، كان يمكن أن تعطي كثير، وتنجز أكثر، لو وجّهت إلى جداول وسموت وآفاق أخرى.

لهذا؛ فإنّ مفهوم الصواب والخطأ في التقييم، إشكاليّ ومراوغ، ومن المهمّ عدم الانصياع له، والوقوف عند تردّداته وانعكاساته، ويمكن لكثيرين- وقد حدث هذا، ويحدث- أن يتميّزوا في أعمالهم، ومواقعهم، تلك التي لم يختاروها، أو تلك التي لا تعدّ في سلّم التفوّق، وتكون لهم بصمات واختراعات؛ فيما وقع آخرون ضحيّة أهوائهم الغائمة، وخياراتهم الخائبة، أو ضاعوا، واستنزفوا، في مغبّة الرائج، والاستهلاكيّ، والمعوّم، من نصائح، وألقاب، وشعارات، وعنوانات خلّبيّة.

إنّ النجاح الحقيقيّ، يكمن في التوجيه الصحيح، والتوجّه المسوّغ، والخيار المرغوب بمعرفة وحبّ وحماسة، وبذل الجهد والوقت والفكر في الإزكاء والإغناء والتشذيب والتدعيم والتأهيل والتحديث، والعمل بروح ومسؤوليّة وجدّيّة؛ لإرضاء النفس والحاجة، وتحقيق ما يفيد الناس إلى أقصى إمكانيّة وأبعد مدى.

أنت وأنا

شهناز صبحي فاكوش

أتقرئين معي سلسلة أيامي.. وفحوى ليالي.. وهواجس أحلامي.. أتشربين معي كأس هنائي وثمالة أحزاني.. أيا صغيرة عمري ودربي.. أتتصفحين طيب مثواي.. وتقلبين معي أوراق عمري.. وصفحات آلامي.. هل أحسست سكرات موتي.. وضيق أنفاسي.. ووداع حياتي..

أما كنا بين قوسين وتحت اسمينا آلاف الخطوط الملونة.. مثل بالونات الفرح العالقة بالسقف فوق رؤوسنا.. وخيوطها تتهادى بين أصابعنا.. كلما فرقع منها واحد صفقنا وعديّنا كم واحداً تمزق؛ تراه حزناً أم فرحاً. وكم بقي مثل ساعات العمر الباقي التي لا يمكن أن تحصى أو تعد.

ما عاد أحد من الموت ليحكي لنا ما بعده.. وكذا بالوناتنا.. تراها مثل قناديلنا المحشوة بضوء السراج.. لابد أن ينضب زيته فيخبو نوره ثم يغيب.. مثل نافورة بحرتنا عندما ينقطع عنها الماء فجأة.. كقصيدة شاعر تاهت منه الكلمات.. فما أكمل ما يكتب.. إنها حياتي يا حلوتي..

رحلتِ وتركتني بلا حدود ولا فرح ولا ورود.. مات النرجس بعدكِ فما اخترق الباب.. وغادر الشرفات.. أراه بين أيدي البائعين ذَبلاً بلا حياة.. باهت لونه.. غادره عبقه.. ملتوياً ساقه.. كعودٍ فاتنة تسمر بين متاهات أيام تشابه أيامنا.. صارت وريقاته أسناناً تعض أيدي حامليه..

ما عاد الصباح يعانق الياسمين.. تساقط على الأرض ثملاً من ريح الوله.. داسته أقدام المارة غير عابئة برقته.. جَهَلَةٌ لا يعرفون كم هو غالٍ.. عطره بأطنان الألوف.. قطراته في ميزان الذهب.. جمالُه أحلى من نجوم في صفو السماء.. ترانيم غزل بضفائر السمراء جدلت بخجل..

أوتار الكمان غادرت نغمه الحنون.. مثل تراتيل الكنيسة.. وتجويد الشريف.. وأنغام الأنين وأنوار الثريا وحُداء الأصيل.. مثل صهيل الخيل بعد الفوز في مضمار سبق.. وحسن صباح صغيرٍ يناغي ابتسامته بشجن.. وجمال السعف وبلح النخيل.. مثل عتم الليل والسهر الطويل..

أيا حوراء ضاقت بوصفها حروف الأبجدية.. مثل آلاء الله في خلقه وألوان الربيع.. مثل وجوه جمّلها الله بالحسن البديع.. بعدك صار ثوب الحياة أضيق من أيامنا.. أحلامنا.. كيف انسحبت دون وداع.. حياتنا استبيحت بعدك للموت وللذئاب.. لم نعد نهاب الموت.. صار خبز حياتنا..

كسرت قلوبنا.. صارت نهشاً للكلاب.. حاصرنا اليباس واليباب.. خوت أرواحنا تصفر بها الريح من غير شتاء.. أيا آية الشمس كم حرقت من الضياء.. لم نعد بأمر الموت نقدر على السجال.. ناحت حمامات رسائل العشق فوق نجيعك.. في هنيهات الغروب.. على الرمل الحزين..

شاعر وقصيدة

بدوي الجبل: إني لأشمت بالجبار

يا سَامِرَ الحَيّ هَلْ تَعنيكَ شَكوانا
رَقّ الحَديدُ وما رَقُّوا لبَلوانا
خَلّ العِتابَ دُموعاً لا غَناءَ بها
وعاتِبِ القَومَ أشلاءً ونيرانا
آمنتُ بالحِقدِ يُذْكي مِنْ عَزائمِنا
وأبْعَدَ اللهُ إشفاقاً وتَحْنانا
ويلَ الشُعوبِ التي لَمْ تَسْقِ من دَمِها
ثاراتِها الحُمْرَ أحقاداً وأضغانا
تَرَنّحَ السَوطُ في يُمنى مُعَذّبِها
رَيّانَ من دَمِها المَسفوحِ سَكرانا
تُغضي على الذُلّ غُفرانا لظالِمِها
تأنّقَ الذُلُّ حتى صارَ غفرانا
ثاراتُ يَعْرُبَ ظَمأى في مَراقِدِها
تَجاوزتها سُقاةُ الحَيّ نسيانا
ألا دَمٌ يَتَنزّى في سُلافَتِها
أستغفِرُ الثأرَ بلْ جَفّت حُميّانا
لا خالِدُ الفَتحِ يَغزو الرُومَ منتصراً
ولا المُثنّى على رايات شَيْبانا
أمّا الشآمُ فلمْ تُبْقِ الخُطوبُ بها
رَوحاً أحبّ منَ النَعمى وَرَيحانا
ألمِ والليلُ قد أرخى ذَوائِبَهُ
طَيفٌ منَ الشامِ حيّانا فأحْيَانا
حَنا علينا ظَماءً في مناهِلِنا
فأترعَ الكأسَ بالذكرى وعاطانا
تُنضّرُ الوردَ والرَيحانَ أدمعُنا
وتَسكُبُ العِطرَ والصَهباءَ نَجوانا
السامِرُ الحلوُ قدْ مرّ الزمانُ بهِ
مزّقَ الشَملَ سُمّاراً ونُدمانا
قدْ هانَ من عهدِها ما كنتُ أحسَبُهُ
هَوى الأحبّةِ في بغدادَ لا هَانا
فمَنْ رأى بنتَ مروانَ انحنتْ تَعَباً
من السَلاسِلِ يَرحَمْ بنتَ مَروانا
أحنو على جُرحِها الدامي وأمسحُهُ
عِطراً تَطيبُ بهِ الدنيا وإيمانا

أزكى منَ الطيبِ رَيحاناً وغاليةً
ما سالَ منْ دَمِ قَتلانا وجَرحانا
هلْ في الشآمِ وَهلْ في القُدسِ والدةٌ
لا تشتكي الثُكلَ إعْوالاً وإرنانا
تلكَ القُبورُ فَلَو أنّي ألمُّ بها
لَمْ تَعدُ عَيناي أحباباً وَإخوانا
يُعطي الشَهيدُ فلا واللهِ ما شَهدَتْ
عَيني كإحسانِهِ في القَومِ إحسانا
وغاية الجود أن يسقي الثرى دمه
عندَ الكفاحِ ويَلقى اللهَ ظمآنا
والحقُّ والسيفُ من طَبعٍ ومن نَسَبٍ
كلاهُما يتلقّى الخَطبَ عُريانا

×××

قُلْ للأُلى استعبَدوا الدُنيا لسيفهمُ
مَنْ قسّمَ الناسَ أحراراً وعُبْدانا
إنّي لأشمَتُ بالجبّارِ يَصرعُهُ
طاغٍ ويُرهقُهُ ظُلماً وطُغيانا
لعلّه تَبعثُ الأحزانُ رحمتَهُ
فيُصبحُ الوحشُ في بُردَيْهِ إنسانا
والحُزنُ في النّفْسِ نبعٌ لا يمرُّ بهِ
صادٍ منَ النفسِ إلا عادَ رَيّانا
والخيرُ في الكونِ لو عَرّيتَ جوهرهُ
رأيتَهُ أدمعاً حَرّى وأحزانا
سمعتُ باريسَ تشكُو زَهوَ فاتحها
هلاّ تذكرتِ يا باريسُ شكوانا
والخيلُ في المسجدِ المحزونِ جائلةٌ
على المصلّينَ أشياخاً وفتيانا
والآمنينَ أفاقوا والقصورُ لَظَىً
تَهوي بها النارُ بُنياناً فبُنيانا
رَمى بها الظالمُ الطاغي مُجلجلةً
كالعارضِ الجَونِ تَهداراً وتَهتانا
أفدي المخدّرةَ الحسناءَ رَوّعَها
منَ الكرى قَدَرٌ يشتدُّ عَجلانا
تَدورُ في القصرِ عَجلى وهيَ باكيةٌ
وتَسحبُ الطيبَ أذيالاً وأردانا
تُجيلُ والنومُ ظلٌّ في مَحاجرها
طَرفاً تُهدهدُهُ الأحلامُ وسنانا
فلا تَرى غيرَ أنقاضٍ مُبعثرةٍ
هَوينَ فناً وتاريخاً وأزمانا
تلكَ الفضائحُ قد سميتها ظَفَراً
هَلا تكافأ يومَ الرَوعِ سَيفانا
نُجابهُ الظُلمَ سكرانَ الظُبى أشِراً
ولا سلاحَ لنا إلا سَجايانا
إذا انفجرتِ منَ العُدوانِ باكيةً
لطالما سُمتنا بَغياً وعُدوانا
عشرينَ عاماً شَربنا الكأسَ مُترعةً
من الأذى فتَمَلّيْ صرفَها الآنا
ما للطواغيتِ في باريسَ قدْ مُسِخوا
على الأرائكِ خُدّاماً وأعوانا
اللهُ أكبرُ هذا الكونُ أجمَعُهُ
للهِ لا لكِ تَدبيراً وسُلطانا
ضَغينةٌ تتنزّى في جَوانحِنا
ما كان أغناكمُ عنها وأغنانا

×××

تَفدي الشُموسُ بضَاحٍ من مشارقِها
هلالَ شعبانَ إذْ حيّا بشعبانا
دوّتْ بهِ الصرخةُ الزهراءُ فانتفضتْ
رمالُ مكةَ أنجاداً وكُثبانا
وسالَ أبطَحُها بالخيلِ آبيةً
على الشَكيمِ تُريدُ الأفقَ مَيدانا
وبالكتائبِ مَن فهرٍ مُقنّعةً
تُضاحكُ الشمسَ هِنديّاً ومُرّانا
تَملْمَلَ الفاتحونَ الصيدُ وازدلفُوا
إلى السيوفِ زُرافاتٍ ووُحدانا
وللجيادِ صهيلٌ في شَكائمِها
تكادُ تَشربُهُ الصحراءُ ألحانا
ألسابقاتُ وما أرخَوا أعنتَها
والحاملاتُ المَنايا الحُمرَ فُرسانا

سِفرٌ من المجدِ راحَ الدهرُ يكتُبُهُ
ولا يَضيقُ بهِ جَهْراً وإمعانا
قرأتُ فيه الملوكَ الصيدَ حاشيةً
والهاشميينَ طُغراءً وعُنوانا
شَدّ الحُسينُ على الطغيانِ مُقتحماً
فزلزلَ اللهُ للطغيانِ بُنيانا
نورُ النبوّةِ في مَيمونِ غُرّتِهِ
تكادُ تَرشفُهُ الأجفانُ فُرقانا
لاثَ العِمامةَ للجُلّى ولستُ أرى
إلا العمائمَ في الإسلامِ تيجانا
ياصاحبَ النصرِ في الهيجاءِ كيف غدا
نصرُ المعارِكِ عندَ السِلمِ خِذلانا
ترى السياسةَ لوناً واحداً ويَرى
لها حليفُكَ أشكالاً وألوانا
لا تسألِ القَومَ أيماناً مُزوّقةً
فقدْ عَيينا بهمُ عَهداً وأيمانا
أكرمتُ عن عَتبٍ هَمَمْتُ بهِ
لو شئتُ أوسعتُهُ جَهراً وتبيانا

×××

ما للسفينةِ لم تَرفعْ مَراسيها
ألمْ تُهيّئ لها الأقدارُ رُبّانا
شُقّي العَواصِفَ والظَلماءَ جاريةً
باسمِ الجزيرةِ مَجرانا ومُرسانا
ضُمّي الأعاريبَ من بَدوٍ ومن حضَرٍ
إني لألمحُ خلفَ الغيمِ طُوفانا
يا من يُدِلُّ علينا في كتائبِهِ
نظارِ تطلعْ على الدنيا سَرايانا

في فضاء الحرف

شعر: منير خلف

طوبى لكلّ مُكـرّمٍ ومُكـــرّمِ
سرٌّ أضـــاءَ به جوانبَ مُلهَـــمِ
طوبى لـذي ألـقٍ يسير بـــه إلى
مجد النفوس لدى مـآرب أنجـمِ
طوبى لمجدٍ سوف تُبنى خلفَـه
أبدَ الجهات قصورُ حُسنٍ مُحكم
لو أن بعض الخلـق أفصح قلبه
لجرى القصيد على لسان الأبكم
ولعـادَ للقلـــم المعلّـــم أهله
سحرُ البيان وذاك خيـــرُ معلّمِ
ولصار ضوء الحـبّ علماً شاسعاً
يُغني المريد .. فيا له من مُنعَـمِ
أخفي بحرفي ما رأيتَ من الجوى
والحرف يُبدي حســرة المتجهّم
لا تسألنّ عن المحـــارب ظلّهُ
ما كلّ معترِكِ الظلالِ بمُعـــدَمِ
مـاذا علينا كي نكـون، وكي نرى
كرمى المقاصـد . ديدن المتعلّم
يا أيها الجمع المكرّم: من هنـــا
يسعى إليكم في نواظـر معجمي؟
تقف القصيدة في محبّـة عطرِكم
في حيـرة وتردُّدٍ وتلعثُـــمِ

(خلف الجراد) تحيةً من سوسن الـ
..... كلماتِ في رؤيـا جوادٍ مُغرم
(لمحمّدين) و(صالحٍ) ولـ(أمّ شا ....
يِشَ) ، سوف نُهدي كُنْهَ ما لم يُعلَمِ
و(سهيلُ) لم يكُ شاعـــراً لكنّهُ
ضحّى ..تألّقَ في قراءةِ (مريـمِ)
هو لم يفـرّقْ بين أحمـدَ والمسيـ
..... حِ، وإنما آخى سُهيـلاً في الدّمِ
و(علاء) صاحبيَ الجميـل تعانقَتْ
فيهِ سلالاتُ الهـــوى من آدمِ
يبقى احتفاءُ الحرفِ مُشعِلَ ثورةٍ
خضراءَ في ثوب البيانِ البلسمي
إنّا عهدنـــا أن نكون كسـورةٍ
يُتلى نَـداها باليدَينِ وبالفـــمِ
في هذه الدنيـــا نرى أصواتَنـا
تُطوى سِجـلّاً مثل حلْمٍ مُبهَـمِ
شكراً لصفصافٍ تَعلّقُ في الـ (أنا)
هيَ (نحنُ) في لحنِ الزمان لننتمي

لن أشغل

رجاء شعبان

لن أشغل حالي مَن أحببتَ ومن يمكن
أن تحب!
فلأحبّ ولتحبّ وليغدو الكون كلّه
حب!
مالي وشأني بِمتغيرات
وخدع وخزعبلات؟
أنا لك وأنت لي بينك وبين حالك
وبيني وبينك يا ابن الوصل بالروح
وابن الشهامة وابن الغيرة
وابن الرجولة وابن الصمت بالبوح
وليحبّك مَن يشاء

وهل أجمل لي من أنْ أحبّ مَن ينافسني
عليه حمام الدوح؟
لا وقت للغيرة عندي يا حبيبي !
أنـا مثلك شغلتُ نفسي بعشق
العصافير
وغمز الجبال ولمس الأقلام
والنوم على الصخور بالسفوح
أفعل ما يحلو لي فَلمَ لا تفعل ما يحلو
لك!
و أتابع طقوسي اليومية
فلا احتلال ولا اعتلال ولا كسل ولا

استغلال
ولا قيل أو قال
ولا ما قد يأتي بِفرحٍ أو جروح
دعني أنام متى شئتُ
وأستيقظ متى شئت
وأنساك متى شئت
وأتذكّرك كيفما شئت
ولتبق كيفما تكون مُغمضاً بوردك
أو فائحاً بالعطر والبوح
تعبتُ القيود وأنت لست القيد
أنتَ أنت لا شيء آخر

أنت عصارة قلبي الصبوحْ
من غصن ربي بالحب جاءني من سطرِ
اللوح
أنت اكسير الغمام
أنت نبضُ نبضي المنفوحْ
أنت إضافتي المستحيلة بالجمال
أنت كمالي وتجزيئي
ونسجي بِسِحْرٍ من دون قروح